

الوكثير في ثوبها الجديد

سمير شاهين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا البحث

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على رسول الله ومصطفاه محمد عليه الصلاة والسلام ، الأسوة الحسنة والقُدوة الطيبة ، ومن اهتدى بهديه ، وسار على طريقه الى يوم الدين •

أما بعد

فقد أطلعت على هذا البحث الذي أعده الأخ الأستاذ «سمير شاهين» من الشباب المسلم الواعي ، الحريص على تتبع الحق في فطنة ، وإبراز الكلمة الطيبة على خير وجه وقد أراد لبحثه هذا العنوان : الوثنية في ثوبها الجديد •

وقضية الوثنية بالغة الخطورة ، إذ هي ممكن البداء الذي يترتب بغير أمة أخرجت للناس ، فيعصف بهديها وهداها ، ويزعزع أمنها واستقرارها ، ويحبط عملها ويفسد سعيها •

ولأجل هذا ما اهتم الاسلام بشيء مثل اهتمامه باعلان الحزب على الوثنية بكل صورها وأشكالها •

وكلمة الوثنية يعنى اتخاذ رموز أو أشكال من الناس أو من الأشياء يجسدون فيها عقيدة العبودية لله •

اتخذت في المجتمع الغربى قبل الاسلام صورة اتخاذ الشفعاء لله •
والتقاسم الوسطاء عنده •

والاستقسام بالأزلام •

• وذبح القرابين عند الأنصاب •

• وفي يقينهم أنهم مع هذا كله ما خالفوا سبيل العبودية لله •

• وجاء الاسلام وأبطل هذه الوثنيات كلها •

وأبطل تقديس الأشخاص حتى قال رب العالمين في شأن نبيه

الكريم « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » •

كما قال ﷺ عن نفسه :

لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم انما انا عبد الله

ورسوله ، فقولوا عبد الله ورسوله » •

ولقد اتخذ رسول الله ﷺ من الوسائل ، وقدم من التوجيهات

ما يحول به بين المسلمين والتردى الى الوثنية بصورة من الصور ، أو بتأثير

أى مسوغ من المسوغات •

فكان صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد »

كما كان يقول : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم

مساجد ، فلا تتخذوا القبور مساجد ، انى أنهاكم عن ذلك •

وكان للمشركين شجرة يقال لها ذات أنواط ، يعلقون عليها سيوفهم ،

فقال بعض المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اجعل لنا ذات

أنواط ، كما لهم ذات أنواط ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : لقد

قلتم ما قاله قوم موسى لموسى : (اجعل لنا الها كما لهم آلهه ، قال انكم

قوم تجهلون) •

وذلك لأن التقليد الأعمى باب خطير من أبواب المتورط في الوثنية ،

ومن هنا حذرهم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه المقارنة التي

تدين بلا ريب مثل هذا العمل •

كان صلى الله عليه وسلم ينصح من يتخذ سترة له في صلاته أن يقف

عن يمينها أو يسارها ولا يصمد اليها صمداً ، حتى لا يقع في النفوس

وهم أنه يتجه بالتعظيم لهذه السترة •

كما حذر من أن نتحرى بصلاتنا طلوع الشمس أو غروبها فانها تطلع بين قرني شيطان ، ويسجد لها الكفار • وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن لا يقع في المجتمع المسلم أمر يكون فيه مجرد مشابهة لأعمال الوثنية •

كل هذه الشواهد تؤكد بصورة قاطعة رفض الاسلام للوثنية ، ولما يشبهها ، ولما يمكن أن يكون سبيلا لها من قول أو عمل ، ان مناط العقيدة في هذا الدين الحق أن يتحرر الوجدان تماما من كل عبودية لغير الله تعالى • والعبادة أو العبودية اسم جامع مثل قول أو عمل يشعر بتعظيم أو تقديس •

ومن هنا نحمد للباحث تخيره لهذا الموضوع • وتوجيه دراسته الموجزة لهذه المسائل ، اذ هي ليست من نافلة القول ، ونحن في غنى من الحديث عنها •

وليست مسائل خلافية من المستحسن أن نعف عنها حرصا على وحدة الأمة •

انها العقيدة التي يقوم عليها بناء الدين ، ولا بد الحفاظ عليها ، سليمة نقية ، راسخة شامخة •

لقد تحدث الباحث في موضوعات ذات بال •

تحدث عن تحريم اتخاذ القبور مساجد •

وتحدث عن تحريم القبور المشرفة •

وتحدث عن ايقاد السرج على المقابر ، والكتابة عليها •

وتحدث عن النهي عن الصلاة عند القبور •

وعن شد الرحال الى غير المساجد الثلاثة •

ثم تناول الوثنية في ثيابها الجديدة •

وقدم صورا عدة من واقع الحياة المصرية ، وما يجرى من مخالفات صارخة للعقيدة الصحيحة •

ودخل في حوار مع عبادة القبور تناول قضايا مختلفة •

وكتب فصلا جديدا كشف بطريقة حاسمة أساليب الزيف والتلبيس والمظاهر الشركية التي أحاطت بعقائد المسلمين تحت عنوان : أصنام فارغة وأحجار تعبد •

وكانت شواهد الباحث من القرآن الكريم ، والحديث الصحيح •
وأحيانا يستأنس بقصائد الشعراء الذين ينقدون مظاهر الوثنية هذا وقد عزز الباحث أيضا كل ما كتب بفتاوى لجمهرة من العلماء الموثوق بهم •

ثم ختم كلامه بالدعوة الى كلمة سواء تتم عن حرص على دعم الحق ومساندته بلا تعصب أو هوى •

بقى أن أقول ان الباحث شاب غيور ، راغب في البحث ، محب للاطلاع ، هو يريد أن يقدم لآخوانه خلاصة جهده وعمله ، ولا يدعى لنفسه أنه مؤلف ، أو محقق أو مجتهد انما هو مسلم عرف شيئا ، وبحكم الالتزام الاسلامي لا يبد له أن يعلم غيره بما علم ، معذرة الى ربه ، ولعل هؤلاء الذين يقعون في هذه الظواهر الضالة يثوبون الى رشدهم ، ويعودون عودا صادقا الى ربهم ، وعند ذاك يشعر الكاتب بسعادة لا حد لها •

أسأل الله تبارك وتعالى أن يثبتنا جميعا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة •

وجزى الله كاتب هذه الكلمات خير الجزاء ، وغفر لنا وله •

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ،

دكتور السيد رزق الطويل

مكة المكرمة - جامعة أم القرى - كلية اللغة العربية

قسم الدراسات العليا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة
للعالمين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين •

أما بعد

فان ديننا الاسلامى قد نهى عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد
وأن يتحرى الناس أماكن دفنهم ويحتفلوا بهم ويدعوهم من دون الله أو
يدعوا الله بهم • وهو ما عرف بين عامة الناس اليوم بمساجد أولياء الله
الصالحين من حيث لا يدرون أن بناء تلك الأضرحة فوق أصحابها من
الأموات وخاصة داخل المساجد انما هو دخيل على الاسلام ولا يمت له
بصلة •

حتى أصبح البعض عندما يرى ضريحا من هذه الأضرحة يجزم
بالقول بأن المدفون به (ولى) حتى وان لم يكن يعرف شيئا عن صاحب
هذا الضريح •

وهذا قياس فاسد طبعاً • فبناء الأضرحة على الأموات ليس دليلاً
قاطعاً على أنهم أولياء وعندما قال الله عز وجل :

(الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (١)

انما كان يقصد بذلك — « الذين آمنوا وكانوا يتقون » (٢) •

ولكن عندما قل علم كثير من الناس بتأويل هذه الآية نجد أن كثيرا
منهم قد اقتصر فهمه على أن المقصود بأولياء الله الصالحين هم
أموات تلك الأضرحة • وبالرجوع الى علماء التفسير من الصحابة نجد

(١) سورة يونس ٦٢ م

(٢) سورة يونس ٦٢ •

أن الامام ابن عباس وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قالا : ان أولياء الله الصالحين هم الذين اذا رؤوا ذكر الله (١) .

وروى عن أبى هريرة أنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان من عباد الله عابدا يغبطهم الأنبياء والشهداء . قلنا من هم يا رسول الله لعننا نجبهم . قال هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ) **ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** (رواه أبو داود .

هذا وقد قال الامام القرطبي في قوله تعالى : (ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم) أى في الآخرة « ولا هم يحزنون » لفقد الدنيا . كل ذلك يدل على أن الولاية ليست مقصورة على أصحاب الأضرحة فحسب (ان كانوا حقا أولياء) وانما هي لمن سلكوا طريق المؤمنين واتقوا الله سبحانه وتعالى كما وصفهم لنا في كتابه العزيز فقال :

(الذين آمنوا وكانوا يتقون) .

والمعروف ان الله عز وجل عندما أنزل هذه الآية على رسوله صلى الله عليه وسلم أنزلها ولم تكن تلك الأضرحة قد بنيت بعد ولم يكن أمواتها قد جاءوا الى الدنيا وهذا يدل أيضا على أن الله عز وجل لم يخص غريقا بالولاية دون فريق ولكن بسبب الولاية مفتوح على مصراعيه لمن اراد الدخول فيه بل ان كل انسان مؤمن يتقى الله سبحانه وتعالى انما هو ولى الله . ولو أن فهم هؤلاء اقتصر على ذلك لكان الأمر ولكن اذا بهم يقيمون الاحتفالات بجوار تلك الأضرحة بعد أن يشدوا الرجال اليها من مشارق الأرض ومغاربها بل تستمر احتفالاتهم أسبوعا وأسابيع (٢) .

(١) تفسير ابن كثير سورة يونس .

(٢) يرجع تاريخ هذه الاحتفالات الى عهد الفاطميين . فهم الذين ابتدعوا الاحتفال بالمولد النبوى ، مولد لى المؤمنين على بن اى طالب ، وكذلك مولد الحسين والحسين والسيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنهم أجمعين . وهم اللذين ابتدعوا أيضا الاحتفال برأس السنة الهجرية وليلة أول شهر رجب وليلة الاسراء والمعراج وكذلك الاحتفال بليلة النصف من شعبان — وقد لفتت هذه الاحتفالات ترحيبا عند العامة وانتشرت بينهم لعدة عوامل منها :

- ١ — الامية الدينية لدى الناس في هذا العصر .
- ٢ — حرص التجار على حضور هذه الاحتفالات وبالتالي تكون أماكن الاحتفال أنشأ بالأسواق .
- ٣ — حصول الفاطميين على مكاسب سياسية من وراء هذه الاحتفالات نتيجة إبعاد الناس عن الاشتغال بالأمور السياسية .

وناهيك يا أخى المسلم عما يحدث فى تلك الاحتفالات من أمور رهيبة لا تحصى ولا تعد مساوئها فالكاسيات العاريات فى الطرقات وغيرهن قد وقفن يعرضن أجسادهن للناظرين والناظرات وآخرون قد نصبوا موائد القمار علنا وتفننوا فى عدد اللعبات حتى يستولوا على الأموال من كل الاتجاهات وآخرون يطوفون حول ضريح الميت المقبور • وآخرون يتسابقون لوضع النذور لعل وعسى أن يتقبل الميت منهم فيحصل لهم الفرح والسرور • الى أن ترى الرجال والنساء يدورون حول المدفون وقد مدوا أيديهم اليه يسألون مزيدا من البركات لعلهم يفلحون •

ولقد حان الوقت لكشف عقيدة القبوريين فى تلك الأنصاب التى بنيت بوحى من الشيطان •

لقد حان الوقت لكشف تلك العقيدة التى شاب عليها الكبار ونشأ عليها الصغار •

لقد حان الوقت لكشف تلك العقيدة التى ليس لها سند من الكتاب الكريم والسنة المطهرة بل لا تتفق بأى حال من الأحوال مع شرعنا الغبراء •

ولن يخيفنا كثرة من كانوا عليها فالحجة لمن يأتى بالدليل لا لمن يأتى بالكثرة — اذ يقول الله تعالى (وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله) (١) •

ويقول تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) (٢) •

فهل يجوز لمسلم اتباع الضالين المضلين لأنهم كثير ، بل هل يجوز لمسلم اتباع من ادعوا لأنفسهم الايمان وهم على الشرك !

وقد راعيت والحمد لله أن يكون الكتاب الكريم والسنة المطهرة هما المصدرين الرئيسيين للفصل فى هذه القضية وما وافقهما من كلام جمهور العلماء رضى الله عنهم أجمعين •

(١) سورة الانعام ١١٦ •

(٢) سورة يوسف ١٠٦ •

وانى اذ أقدم للقارئ العزيز هذا البحث انما أقدمه لكى أضع أمامه موقف الاسلام من :

- ١ - بناء تلك الأضرحة داخل المساجد أو بناء المساجد فوقها .
- ٢ - الحج إليها والطواف حولها ودعاء أصحابها أو الدعاء بهم .
- ٣ - النذر والذبح عندها .

قاصدا من ذلك :

- ١ - ان يجعلنى الله سبحانه وتعالى سببا فى هداية من سلك هذا الطريق الوعر على حسن نية منه .
 - ٢ - أن يكون هذا البحث حجة على من سلك هذا الطريق . ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة .
- راجيا من الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجه تعالى .

سبحي شاهين

بسم الله الرحمن الرحيم

تحريم اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد

والدليل :

١ - روى الامام مسلم فى صحيحة عن جندب بن عبد الله البجلي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول :

(انى أبرأ الى الله أن يكون منكم خليل ، فان الله تعالى قد اتخذنى خليلا ، ولو كنت متخذا خليلا لا اتخذت أبا بكر خليلا ، ألا ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد • الا فلا تتخذوا القبور مساجد فانى أنهاكم عن ذلك) •

فهذا حديث صحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم ينهى فيه عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد • فكيف بمن يفعلون ذلك مع من ليسوا بأنبياء بل مع أموات مثلهم كمثال أموات المسلمين ؟؟

٢ - عن عائشة وعبد الله بن عباس رضى عنهما قالا : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا أغتم كشفها فقال وهو كذلك :

(لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)
« يحذر ما صنعوا » متفق عليه •

وفى هذا الحديث أيضا يلعن الرسول صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد • وهو بذلك يحذر المسلمين من أن يفعلوا ما فعله اليهود والنصارى فتصيبهم اللعنة كما أصابتهم رغم ما به من المرض ليدل ذلك على خطورة هذا الأمر وحرصه صلى الله عليه وسلم على تبليغ أمته وتحذيرهم مما يؤدى بهم الى الشرك بالله •

٣ — قالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مرضه الذي لم يقم منه (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور
انبيائهم مساجد » ، « ولولا ذلك لأبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ
مسجدا ») • متفق عليه •

فهذا الرسول ﷺ الذي كشف الله به النعمة وهدى على
يديه الأمة وأخرجها من عبادة الأصنام الى عبادة من لا يغفل ولا ينام
هاهو ينهى عن تعلية قبره ويحذر من ذلك خشية أن تتخذ أمته بعد
وفاته مسجدا فتصيبهم اللعنة كما اصاب اليهود والنصارى !

فاذا كانت تلك المقامات التي بنيت فوق الأموات فيها تشريف وتعظيم
وتكريم لسيرتهم الحسنة ، أما كان أولى بهذا التشريف والتعظيم والتكريم
من هؤلاء الخطأين المعصوم صلى الله عليه وسلم ؟

ولكن علم الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذا من أفعال المشركين
فنهى المسلمين عن تلك الأفعال •

ورب قائل يقول ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد خص اليهود
والنصارى باللعن لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد ولم يخص المسلمين
بذلك — قلنا له : انظر الى الدليل الثاني ليتبين لك أن الرسول صلى الله
عليه وسلم لم يقصد اليهود والنصارى فحسب وانما كان يوجه كلامه
للمسلمين ليحذرهم مما وقع فيه اليهود والنصارى •

والدليل على ذلك قول السيدة عائشة « يحذر ما صنعوا » •

٤ — روى الامام أحمد في مسنده باسناد جيد عن عبد الله بن
مسعود رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان من شرار
الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد »

والمعنى واضح اذ يبين الرسول صلى الله عليه وسلم • أن شرار الناس
هم الذين تقوم عليهم الساعة والذين يتخذون القبور مساجد • سواء
كانوا من اليهود والنصارى أو من المسلمين •

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية فى ذلك : أما بناء المساجد على القبور : فقد صرح عامة الطوائف بالنهى عنه متابعة للأحاديث الصحيحة • وصرح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعى بتحريمه وقال : ولا ريب فى القطع بتحريمه ثم ذكر الأحاديث فى ذلك •

وقال ابن تيمية أيضا بخصوص المساجد المبنية على القبور • أو القبور المبنية على المساجد أنه يتعين إزالتها بهدم أو غيره هذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء المعروفين •

وقال ابن القيم رحمه الله : يجب هدم القباب التى بنيت على القبور لأنها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم • وقد أفتى جماعة من الشافعية بهدم ما فى القرافة من الأبنية منهم ابن الجمى — والظاهر الترهينى — وغيرهم •

٥ — عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) (متفق عليه)

٦ — روى الامام مالك فى الموطأ أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد • اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » •

وهذا الحديث يدل أيضا على أن الذى يعكف حول ضريح من الأضرحة فيه شبهة كبيرة من الذى كان يعكف حول وثن من أوثان الجاهلية الأولى — وذلك لأن المشركين ما عكفوا حول الأصنام الا ليتقربوا بها الى الله سبحانه وتعالى • وهكذا الحال أيضا بالنسبة لهؤلاء المتسلمين فهم يعللون عكوفهم حول الأضرحة بأنهم يتقربوا بما فيها الى الله — ونظرا لاجتماع الشبهات فى الحالتين من حيث — الاعتقاد والتلفظ والعمل واطهار ذلك بين الناس دون خوف أو عقاب من أحد — فأنى لا أجد صارف يستدعى التفريق بين الحالتين •

اللهم اذا اجتمعت عنده شبهة دون أخرى فإنه يجب التوقف فى الحكم عليه حتى يعلم ما هى الشبهة التى يقع فيها •

فإذا اجتمعت عنده الشبهة الأولى صار بها مشركا حتى وإن لم تجتمع عنده الشبهات الأخرى لأن الاعتقاد لا يكون إلا بالقلب — والقلب ليس عليه سلطان إلا من الله — قال تعالى : « ألا من أكره وقلبه مطمئن » أى من أكره على التلفظ أو العمل أو اظهار الكفر بين الناس • له أن يوافق على ما سبق ذكره — وقلبه مطمئن — أى الى أن ما يتلفظ به أو يفعله أو يظهره أمام الناس ليس هو الحق — هذا بالنسبة لمن يقع تحت الشبهة الأولى •

أما اذا كان يقع تحت الشبهة الثانية أو الثالثة أو الرابعة — استتيب خشية أن يكون جاهلا !! فان تاب ورجع — عذر بالجهل — فيما كان عليه سابقا — فان لم يتب وأصر على ما هو عليه — علم أنه يعتقد فيما هو قائم عليه — ومن ثم يعلم أنه مشرك — ولا يصح التوقف في الحكم عليه — والا مافائدة الاستتابة سابقا ؟

وأخيرا لا أجد أفضل من كلام الحبيب صلى الله عليه وسلم أحتج به اذ يقول في معنى الحديث أنه اذا ما اتخذ قبر ما للعكوف حوله فهو كالوثن الذى يعبد من دون الله حتى لو كان هذا القبر قبره هو صلى الله عليه وسلم •

وقد أخذ الامام ابن القيم رحمة الله عليه هذا الحديث وقال في معناه :

فأجاب رب العالمين دعاؤه وأحاطه بثلاثة جدران

حتى غدت أرجاؤه بدعائه فى عزه وحماية وشقاق

أى أن الله سبحانه وتعالى أجاب دعوته حين قال :

(اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد)

وحماه من القبورين • (١)

(١) القبورين : لفظ يطلق على الذين فتنوا ببعض الأموات واعتقدوا فيهم اعتقاد

المشركين فى الأصنام •

كراهة رفع القبور عن الأرض

وليُعلم أيضا أن في تعلية القبور عن الأرض مفسد كثيرة لا تخفى على من شَم رائحة العلم • ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بعدم رفعها عن الأرض حتى لا تكون فتنة وتنقلب إلى أوْثان تعبد من دون الله والدليل على ذلك :

١ - عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم قبر عثمان بن مظعون بصخرة رواه ابن ماجه فى السنن - ورواه أبو داود من حديث المطلب بن أبى وداعة وفيه : أنه حمل الصخرة فوضعها عند رأسه وقال : أتعلم قبر أخى وأدفن إليه من مات من أهلى » •

٢ - عن جعفر بن عمر عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « رش على قبر ابنه ابراهيم ووضع عليه حصباء » رواه الشافعى :

وهذا يبين أنه لو كان فى تعلية القبور فائدة لما حرم النبي صلى الله عليه وسلم ابنه وحبيبه ابراهيم منها - وذلك لعلم الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضى الله عنهم ان العمل الصالح هو الذى ينفع الميت فى قبره فلم يهتموا بتعلية القبور وبنائها بطريقة تنافى الشرع كما هو شائع اليوم عند من أصابتهم عدوى التفاخر بعد أن شغلتهم المظاهر والتهتم عن العمل بأصول الدين الحنيف •

٣ - عن أبى رافع قال « سل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر سعد بن معاذ ورش على قبره الماء » •

٤ - روى أبو بكر النجار عن طريق بن محمد عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم رفع قبره من الأرض شبرا وطينه بطين أحمر من العرصة •

وهذا الحديث يبين جواز تعلية القبور قدر شبر — وهو القدر الذى
 سمح به الشرع — وبه قال الامام الشافعى والامام الحسن البصرى •
 الا أن الامام يحيى وأبى حنيفة قللا بکراهة التطيين (١) •
 ٥ — عن ابن الهيثم الأسدى قال : قال لى على رضى الله عنه وكرم
 الله وجهه •

(١) لا يبنى لأحد أن يقول بأن قول الامام يحيى وأبى حنيفة بکراهة التطيين فيه مخالفة
 لانهما كرها ما أجازاه الرسول ﷺ كما لا يصح لأى أحد من العامة أن ينصب نفسه حكما على
 العلماء عامة وأصحاب المذاهب خاصة فى المسائل التى اختلفوا فيها فيرجع قول أحدهم على
 الآخر • أو يحكم بأن صاحب المذهب أخطأ فى كذا أو أصاب فى كذا الا اذا كان على علم
 بالأسباب التى توجب الخلاف بينهم — وذلك لأن المسائل التى اختلفوا فيها محصورة بين ست
 أمور هى :

اولا : أن أحدهم قد يتكلم بحديث لم يصل الى الآخر • فيبنى الأول حكمه بناء على الحديث
 ويبنى الآخر حكمه بناء على ما عنده من الأدلة الأخرى •

ثانيا : أن يجتهد أحدهم فيما اجتمع عنده من الأدلة سواء كانت هذه الأدلة مبنية على
 الأحاديث أو الأقوال المسنونة — فيرجح قول على قول — ومن هنا يظهر الخلاف •

ثالثا : أن يختلفوا فى تأويل بعض الآيات والأحاديث من حيث الالفاظ الواردة فيها فيبنى
 كل منهما حكمه على ما اعتدى اليه من التأويل فيها يخص هذه المسألة •

رابعا : أن يكون هناك مسألة ما جمعت بين الجائز والمكروه — فيقال بکراهتها ككل لما
 تضمنته من مكروه — وذلك سدا للزريعة • وربما تكون المسألة السابقة من هذا النوع • كان
 يكون الامام يحيى وأبى حنيفة قللا بکراهة التطيين بناء على أن القبور فى زمان كل منهما كانت أعلى
 من القدر المشروع وكانت رغم ذلك تطين • فقالا بکراهة التطيين مع تعلية القبور •

خامسا : أن يقول أحدهم بما يخالف الحديث فى المسائل الفرعية التى لا تمس العقيدة
 رغم علمهم بصحة الحديث وتأويله لحكمة تقتضيها الظروف التى يعيشها صاحب القول — كان
 يكون الناس فى زمانهم أقرب الى الفتنة بشيء ما فيقال بکراهة كل ما يؤدى الى الانتنان به سدا
 للزريعة — وهذا من الحكمة — وفى نفس الوقت لا يقول غيره بذلك لأنه لا يجد أمامه ما يحمله
 على أن يخالف ما عنده من الأدلة الثابتة •

سادسا : أن يكون أحدهم وقف على الناسخ والمنسوخ فى مسألة ما — ولم يقف الآخر
 عليها — فيبنى الأول حكمه على آخر حديث قيل فيها ويبنى الآخر حكمه على ما وقف عليه من
 الأدلة السابقة •

تنبيه : لو علم أن هناك عالم ما خالف الكتاب والسنة — أو خالف الإجماع ضرب
 برأيه عرض الحائط — وأخذ بما يتقبح كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أو بما أجمع عليه جمهور
 العلماء ولا يفتقر بأسبه وشهرته بين الناس وذلك لأن الرجال يعرفون بالحق وليس الحق يعرف
 بالرجال •

هذا وليعلم أن العالم اذا اجتهد فأصاب له اجران — واذا أخطأ فله اجر واحد — على أن
 لا يعمل برأيه لثبوت مخالفته للكتاب والسنة أو لما أجمع عليه جمهور العلماء •

ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا تدع تمثالا إلا تمسطه ولا مقبرا مشرفا إلا تسويته « أى سويته بالأرض — رواه الجماعة إلا البخارى وابن ماجه (١) » .

٦ — روى الامام مسلم فى صحيحه عن هارون أن ثمامه بن شقى حدثه قال كنا مع فضاله بن عبيد بأرض الروم (برودس) فتوفى صاحب لنا فأمر فضاله بن عبيد بقبره فسوى ثم قال : « سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها » .

٧ — روى الامام مسلم أيضا فى صحيحه عن جابر قال : « نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه » .

قال الامام الشوكانى فى ذلك « والظاهر أن رفع القبور على القدر المأذون فيه محرم وقد صرح بذلك أصحاب أحمد وجماعة الشافعى ومالك » .

والقول بأنه غير محظور لا يصح . لأن غاية ما فيه أنهم سكتوا عن ذلك ، والسكوت لا يكون دليلا إذا كان فى الأمور الظنية وتحريم رفع القبور ظن .

ومن رفع القبور الداخلى تحت الحديث دخولا أوليا القباب والمشاهد المعمورة على القبور ، وأيضا هو من اتخاذ القبور مساجد ، وقد لعن الرسول ﷺ فاعل ذلك .

(١) ولما كان القبوريون أهلا للجدال بسبب حميتهم وعصبيتهم العمياء لعادات الجاهلية . فانهم لم يكتفوا بها ورد من أدلة ثابتة كافية شافية بالنسبة لتعليق القبور فوق الأرض . ولهم شبهه يحتجون بها على من ينكر عليهم بنائهم للأضرحة والمقامات فوق من فتقوا بهم من الأموات إذ يقولون : ان قبر الرسول ﷺ قد بنى عليه قبة كبيرة ولو كان بناء هذه القبة حرام ما بنيت ويقال لأصحاب هذا القول .

أولا : ان الأصل فى فعل الشيء أن يكون مشروعاً . لا أن يتم فعله ثم يؤخذ به لانه قد حدث .

ثانيا : ان هذه القبة المبنية على قبره ﷺ ليس لبنائها دليل شرعى لانه ﷺ هو نفسه الذى أوصى بعدم رفع القبور عن الأرض وأمر بتسويتها بها فى ذلك قبره كما فى الحديث رقم (٣) . وليعلم أنه لم يتم بناء هذه القبة فى عهد الصحابة وتابعيهم لانهم كانوا أعلم بما أثار عن الرسول ﷺ بعدم تعليق القبور عن الأرض — ولكن تم بناء هذه القبة فى عهد بعض ملوك مصر وهو — (قلاوون الصالحى) المعروف بالملك المنتصر فى سنة ثمانى وتسبعة وستمائة وذلك لأهداف سياسية لادينية .

وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها مفاصد يبكى لها الاسلام . منها اعتقاد الجهلة فيها كاعتقاد الكفار في الأصنام ، وعظموا ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر فجعلوها مقصدا لطلب قضاء الحوائج لنجاح المطالب وسألوا منها ما يسأل العباد من ربهم وشدوا اليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا .

وبالجملة : أنهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام الا فعلوه . فانا لله وانا اليه راجعون .

ومع هذا المنكر الشنيع ، والكفر الفظيع ، لا تجد من يغضب لله ، ويغار حميه للدين الحنيف لا عالما ، ولا متعلما ، ولا أميرا ولا وزيرا ولا ملكا . وقد توارد إلينا من الأخبار مالا يشك معه أن كثيرا من هؤلاء القبوريين أكثرهم اذا توجهت عليه يمين من جهة خصم ، حلف بالله فاجرا فاذا قيل له بعد ذلك ، بشيخك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالخف ، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ قوله شرك من قال انه تعالى ثانى اثنين أو ثالث ثلاثة .

فيا علماء الدين ويا ملوك الاسلام أى رزد للاسلام أشد من الكفر وأى بلاء لهذا الدين أضر عليه من عباده غير الله ، وأى مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة وأى منكر يجب انكاره ان لم يكن انكار هذا الشرك البين .

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لاحياة لمن تتادى
ولو نارنا نفخت بها أضاعت ولكن أنت تتنفخ في رماد

وقال ابن حجر في الزواجر : وتجب المبادرة لهدم المساجد والقباب التي على القبور اذ هي أضر من مسجد الضرار ! ، لأنها أسست على معصية رسول الله ﷺ لأنه نهى ذلك وأمر بهدم القبور المشرفة . وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على القبر ولا يصح وقفه أو نذره .

وقال الامام بن حزم : لا يحل أن يبنى القبر ولا يجصص ولا أن يزداد على ترابه شيء ويهدم كل ذلك .

فاذا علم من الأحاديث السابقة وفتوى جمهور العلماء بما فيهم
الامام الشافعى وأحمد ومالك وأبى حنيفة أنه ليس من الهدى الصحيح
ولامن الشرع الحنيف تعلية القبور عن الأرض فكيف بمن رفعوها قدر
ذراعين وأكثر ؟ ومن أين أتوا بالأدلة التى تجيز رفع القبور بهذه الطريقة
والمسماة بمقامات أولياء الله الصالحين ؟

هل يبعث الميت من جديد داخل هذا القبر فيقوم ليملا الفراغ
الموجود داخل المقام ؟

أم كان فى عهدهم من مات صلبوه وبنوا حوله القبر فيكون الدفن
قد تم على طريقة الوضع واقفا ؟ فان لم يكن هذا ولا ذاك فلماذا اذا
الوقوف أمام هذا العمود والتمسح فيه والطواف حوله والصراخ والعيون
بجواره ؟

« النهى عن ايقاد السرج على المقابر والكتابة عليها

قد نهى الرسول ﷺ أيضا عن ايقاد السرج ولعن من يفعل ذلك والدليل :

١ — مارواه الامام أحمد وغيره فى السنن عن ابن عباس أنه قال :
(لعن الرسول ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) •

ونهى أيضا عن الكتابة عليها والدليل :

مارواه أبو داود والترمذى عن جابر رضى الله عنه أن رسول ﷺ
« نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها » •

ومعلوم أن الكتابة هنا كانت مجردة من شبّهات الشرك • اذ لو كانت
مخلّة بعقيدة المسلم لكان التحريم أقرب من النهى • والظاهر أن الكتابة
هنا عبارة عن اسم الميت ونسبه وما الى ذلك بطريقة الزخرفة مما لم يأذن
فيه الشرع لأن ذلك قد يؤدى الى التعظيم والتفاخر والفتنة بالأموال
وان كانت هى السبب الرئيسى للنهى — والله أعلم —

قال العالم الربانى ابن القيم فى هذا الباب مانصه :

فانظر الى هذا التباين العظيم بين ماشرعه رسول الله ﷺ وقصده :
من النهى عما تقدم ذكره فى القبور ، وبين ماشرعه هؤلاء وقصدوه •
ولا ريب أن فى ذلك المفاصد مايعجز العبد عن حصره •

فمنها : تعظيمها الموقع فى الافتتان بها • ومنها اتخاذها عيدا — ومنها
السفر مشابهة عبادة الأصنام بما يفعل عندها : من العكوف عليها ،

(١) قال الشيخ ناصر الدين الألبانى «ضعيف» الا أن هناك شواهد للجنة الاولى والثانية — وعلى هذا الأساس فقد ذكرته •

والمجاورة عندها • ومنها تعليق الستور عليها وسدانتها ، وعبادها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد ، والويل عندهم لقيمها ليلة يطفىء القنديل المعلق عليها •

ومنها: النذر لها ولسدنتها •

ومنها: اعتقاد المشركين أن بها يكشف البلاء وينصر الأعداء ويستتزل غيث السماء • وتفرج الكروب وتقضى الحوائج وينصر المظلوم • ويجار الخائف الى غير ذلك •

ومنها: الدخول فى لعنة الله تعالى ورسوله باتخاذ المساجد عليها، وإيقاد السرج عليها •

ومنها: الشرك الأكبر الذى يفعل عندها •

ومنها : إيذاء أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم فانهم يؤذيهم مايفعل عند قبورهم ويكرهونه غاية الكراهة • كما أن المسيح يكره ما يفعله النصراني عند قبره •

وكذلك غيره من الأنبياء والأولياء والمسايق يؤذيهم ما يفعله أشباه النصراني عند قبورهم • ويوم القيامة يتبرؤون منهم • كما قال تعالى :

(ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل (١) ؟ قالوا سبحانك ماكان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا) قال الله للمشركين (٢) •

(فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا) (٣) • وقال تعالى :

(واذا قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي اليهن من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق (٤)) •

(١) الفرقان — ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠

(٢) المائدة — ١٦ ، ١٧

وقال تعالى :

« ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون (١) قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون » (٢) •

ومنها : مشابهة اليهود والنصارى فى اتخاذ المساجد والسرر عليها •

ومنها : محادة الله ورسوله ومناقضة ما شرعه فيها •

ومنها : التعب العظيم مع الوزر الكثير والاثم العظيم •

ومنها : اماته انسنن واحياء البدع •

ومنها : تفضيلها على خير البقاع وأحبها الى الله • فان عباد القبور يعطونها من التعظيم والاحترام والخشوع ورقة القلب والعكوف بالهمة على الموتى مالا يفعلونه فى المساجد ولا يحصل لهم فيها نظير ، ولا قريب منه •

ومنها : أن ذلك يتضمن عمارة المشاهد وخراب المساجد ودين الله الذى بعث به رسوله يصد ذلك ولهذا لما كانت الرافضة من أبعد الناس عن العلم والدين عمروا المشاهد وأخربوا المساجد •

ومنها : أن الذى شرعه الرسول ﷺ عند زيارة القبور : انما هو تذكر الآخرة والاحسان الى المزور بالدعاء له والترحم عليه ، والاستغفار له ، وسؤال العاقبة له فيكون الزائر محسنا الى نفسه والى الميت فقلب هؤلاء المشركون الأمر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعاؤه به ، وسؤاله حوائجهم واستئصال البركات منه ، ونصره لهم على الأعداء • ونحو ذلك • فصاروا مسيئين الى نفوسهم والى الميت ولو لم يكن الا بحرمانه بركة مآثره الله تعالى من الدعاء له والترحم عليه والاستغفار له •••••

النهي عن الصلاة عند القبور

١ - وليعلم أيضا أن الصلاة عند القبور قد نهى عنها وأنه لا يصح لرجل أن يتحراها ويصلى عندها • والدليل ما رواه الامام البخارى فى صحيحة أن عمر بن الخطاب رأى أنس بن مالك يصلى عند القبر فقال له « القبر • القبر » ويفهم من ذلك أن عمر بن الخطاب والصحابة رضوان الله عليهم كان عندهم علم مسبق بالتحريم والدليل انه عندما صاح عمر بن الخطاب قائلاً لأنس « القبر • القبر » لم يصر أنس على ماكان عليه بل تنبه وابتعد ليدل ذلك أيضا على أن الصحابي أنس بن مالك لم يتعمد الصلاة عنده • ويحمل ذلك على أنه لم يرى القبر •

٢ - وروى الامام مسلم فى صحيحة عن أبى مرثد الغنوى أن رسول الله ﷺ قال : « لاتصلوا الى القبر ولا تجلسوا عليها •

قال المناوى فى فيض القدير : أى مستقبليين اليها لما فيه من التعظيم البالغ لأنه من مرتبة المعبود •

والى ذلك ذهب الامام النووى حيث قال فى تعليقه على هذا الحديث « فيه دليل على تحريم الصلاة الى القبر لظاهر النهى » •

وقال الشيخ محمد بن اسماعيل الصنعانى فى (سبل السلام) تعليقا على هذا الحديث أيضا « وفيه دليل على النهى عن الصلاة الى القبر كما نهى عن الصلاة على القبر والأصل التحريم ولم يذكر المقدار الذى يكون به النهى عن الصلاة الى القبر والظاهر أنه ما يعد مستقبلا له عرفا •

ومن ثم فانه يجوز للمسلم أن يصلى اذا كان القبر عن يمينه أو يساره أو خلفه • ولايجوز له أن يصلى على القبر ان كان مسوياً بالأرض • كما لايجوز له أيضا أن يصلى الى القبر - أى يكون القبر بينه وبين القبلة - وذلك لما فى الحديث السابق ذكره ورواية أنس بن

مالك رضى الله عنه • اما بالنسبة لهذه الاضحية والتي بنيت داخل حجرات خاصة خارج المساجد فلا يجوز الصلاة فيها على الاطلاق • سواء كان المصلى على يمين أو يسار أو خلف القبر وذلك لأنه ترك ساحة المسجد والتي ما جعلت الا للصلاة وتعتمد الحجرة التي بها الضريح ليصلى عندها، فيكون عدم الجواز هنا من قبيل اتخاذ المقبرة مسجد •

أما اذا تعمد أحد الصلاة في الحجرة التي بها الضريح لأجل التماس البركة • أو لاعتقاده بأن صلاته في الحجرة أفضل لأجل وجود المقبور — فيها فهذا هو عين الشرك بلا خلاف ولبسط الكلام في هذه المسألة فقد أفردنا لها بابا خاصا كما سيأتى باذن الله •

النهى عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة

قد نهى الرسول ﷺ عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة وهى (المسجد الحرام ، ومسجده ﷺ ، والمسجد الأقصى) والدليل ماروى فى الصحيحين عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال :

(لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد • المسجد الحرام — ومسجدى هذا والمسجد الأقصى) أى لا ينبغي لمسلم أن يشد الرحال لغير المساجد الثلاثة ويعتمد الصلاة فيها دون غيرها من المساجد لأن ذلك مخالفة صريحة لهدى الحبيب ﷺ ومعصية لله ولرسوله ولأن من يفعل ذلك أيضا فهو من الذين خاطبهم الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم فقال لهم :

(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) (١) وتبين الآية السابقة ان المساجد انما جعلت لعبادة الله وحده فلا ينبغي أن يشوب هذه العبادة شرك بالله — وهوما عليه القبورىون الآن لأنهم هجروا بيوت الله المجاورة لهم وشدوا الرحال الى بعض المساجد المقبورة — بل ويحفظون مواعيد الاحتفال بأموات هذه الأضرحة ويحرصون كل الحرص أن لا يتخلفوا عنها • وذلك لا اعتقادهم بأن المتخلف عن الحضور مطرود من رحمة الميت — وأيضا لما يحكى لهم أن فلانا من مريدى الميت تخلف عن الحضور سنة كذا فحدث له كذا وكذا فيخشى غيره من التخلف خوفا من أن يصيبه الميت بخوف وجوع ونقص فى الأموال والأنفس والثمرات •

فثم رأيت هؤلاء فاعلم أنهم المقصودون بقول الله تعالى :

(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) •

ودليلنا على ذلك أن هؤلاء لو كانوا يعبدون الله وحده لما هجروا تلك المساجد المجاورة لبيوتهم والتي ماجعلت الا للعبادة • وقصدوا غيرها

من المساجد المقبورة • والظاهر في هذا الأمر أنهم ما قصدوا تلك المساجد لعبادة الله وحده • ولكن ما قصدوها الا لما فيها من الأموات يعتقدون في نفعهم وضرهم • والا لماذا سافروا اليها بعد أن تحملوا عناء السفر ومشقته ؟ وفيما يلي بيان الأدلة التي تدل على كراهة شد الرحال لغير المساجد الثلاثة :

١ — روى الامام أحمد وعمر بن شبة في أخبار المدينة باسناد جيد عن قزعه قال : أتيت عمر فقلت : أنى أريد الطور ، فقال : انما تشد الرحال الى ثلاثة مساجد (المسجد الحرام — ومسجد المدينة — والمسجد الأقصى) فدع عنك الطور ولا تأتیه ••

٢ — وروى الامام مالك في الموطأ عن بصره بن أبى بصره الغفارى أنه قال لأبى هريرة وقد أقبل من الطور (لو أدركتك قبل أن تخرج لما خرجت سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا تعمل المطى الا ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدي هذا — والمسجد الأقصى) •

٣ — روى المعمر بن سويد قال : صليت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه في طريق مكة صلاة الصبح فقرا فيها •

« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » ، « لا يلا فكريش » •• ثم رأى الناس يذهبون مذاهب فقال : أين يذهب هؤلاء فقيل : يأمر المؤمنين مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ ، فهم يصلون فيه قال : انما أهلك من كان قبلكم بمثل هذا • كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعا • فمن أدركته الصلاة في هذه المساجد فيلصق ومن لا فليمضى ولا يتعمدها • فهذه ثلاث روايات من تمعن فيها ووقف على ابعادها نفعه بالله بثمانى فوائد عظيمة هى :

أولا : أن النهى عن شد الرحال لم يكن خاصا بما عدا المساجد الثلاثة فحسب وانما لغيرها من المساجد التي يتعمد الناس الذهاب اليها وهذا واضح فى رواية عمر رضى الله عنه ورواية بصرة بن أبى بصرة — واللذان أعتبرا أن الذهاب الى الطور — هو من قبيل شد الرحال لغير المساجد الثلاثة •

ثانيا : سد أبواب الفتنة أمام المسلمين وهذا واضح فيما فعله أمير المؤمنين رضى الله عنه وذلك عندما أمر بقطع الشجرة التي بايع

رسول الله ﷺ تحتها الصحابة — هذا مجرد أنه علم أن بعض الناس يذهبون اليها •

ثالثا : أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه — أوصى المسلمين ألا يتعمدوا الصلاة فى مسجد كان أشرف الخلق محمد ﷺ قد صلى فيه — مع أن هذا المسجد لم يكن فى بلد آخر !! وانهم لم يذهبوا اليه لأن به قبرا يتبركون به — أو لأن الرسول ﷺ كان يصلى فيه فتحصل لهم البركة بذلك !!

رابعا : ان الذين نهاهم أمير المؤمنين رضى الله عنه عن الذهاب الى مسجد رسول الله ﷺ لو أنهم لم ينتهوا وأصروا على الذهاب لأدى بهم ذلك الى الهلاك بسبب مخالفتهم لأمر المؤمنين واتباعهم لهدى الصالين المضلين والا ما معنى قول أمير المؤمنين (انما أهلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعا) •

رابعا : ان سبب هلاك الأمم من قبل يرجع الى أنهم كانوا يتعمدون أماكن أنبيائهم وصالحهم ويذهبون اليها •

خامسا : ان سبب هلاك الأمم من قبل يرجع الى أنهم كانوا يتعمدون أماكن أنبيائهم وصالحهم ويذهبون اليها •

سادسا : ان الذين يخصصون مساجد المقبورين اليوم والتي يفوح منها رائحة الشرك دوما ويتعمدون الذهاب اليها ويرتكبون عندها كبائر الذنوب باسم (صاحب الفرح) أولى بالخسران والهلاك من قوم كان الهلاك والخسران أقرب لهم لمجرد أنهم (تعمدوا) الصلاة فى مسجد كان الرسول ﷺ قد صلى فيه •

سابعا : أن أرض الله سبحانه وتعالى كلها صالحة للعبادة — فمن تعمد بقعة معينة معتقدا أن عبادته لله فيها أفضل من عبادته فى غيرها (لأجل البقعة) الا المساجد الثلاثة — فهو من الذين دعوا غير الله •

ثامنا : انه بالنظر فيما كان عليه السلف الصالح وتابعوهم باحسان — وبالنظر فيما عليه كثير من الخلف — تبين له صدق الرسول ﷺ حين قال — : بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء — ووقف على المعنى الحقيقى للحديث — وعلم ماهية الغربة فيه ولماذا دعى الرسول ﷺ للغرباء •

الوثنية فى ثوبها الجديد

أعلم رحمك الله أن الشيطان له من الحيل ما يستطيع بها تغيير قلوب الناس من التوحيد الخالص لله الى الشرك والكفر أو على الأقل من الطاعة الى المعصية وما حدث بين آدم عليه السلام والشيطان ليس ببعيد عنا • فحين أراد الشيطان لآدم الخروج من الجنة كان على علم بأن ذلك لن يحدث الا اذا صور له المعصية فى قالب آخر • حيث قال له (هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) ولم يقل له هل أدلك على شجرة اذا أكلت منها ظهرت سوءتك وخرجت من الجنة • وذلك لأن الشيطان كان على علم بأن آدم عليه السلام لن يطيعه حين يقول له ذلك • فلما أكل آدم وزوجته من الشجرة ظهرت سوءتهما فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فاستحقا بذلك الخروج منها •

وهذا الاسلوب الذى يتبعه الشيطان مع من يضلهم من المسلمين لم ولن يتغير أبدا لكنه يستخدمه بصور مختلفة • فمثلا لما كان الشيطان يريد لضعاف العقيدة وضعاف الايمان الشرك بالله فانه كان على علم بأنه لن يستطيع أن يجعل المسلم يشرك شركا ظاهرا بحيث يعلم العامة قبل الخاصة بأن هذا شرك ومروق من الدين — والا نبهه غيره الى ما وقع فيه — ولكنه أصبح يزين لهم الشرك والكفر فى صور أخرى تخفى على من يضلهم من الجاهل بتعاليم هذا الدين والأصول التى بنى عليها • فكم من قرى كانت آمنة مطمئنة يأتيتها الرزق من كل مكان شاكرة لأنعم الله فكفرت فأخذها الله بكفرها •

والدليل على ذلك قول الله تعالى : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيتها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » (٢) •

وهاهم رجال كانوا يقولون لا اله الا الله ويشهدون بنبوّة محمد ﷺ ويصلون ويصومون ويزكون ويحجون (وفوق ذلك) يجاهدون مع النبي ﷺ ونزلت الآيات تقول بكفرهم وذلك لمجرد أنهم تقولوا فيما بينهم بكلام ظنوا أنه مزاح وتسلية يقطعون به الطريق والدليل قول الله تعالى (٠٠٠ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن — لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ٠٠٠) (١) أى لا تعتذروا عما بدر منكم قد كفرتم بما تقولتم به بعد أن كنتم مؤمنين • فهؤلاء أيضا ما وقعوا فى الكفر الا لأن الشيطان قد زين لهم الكفر فى صورة المزاح والتسلية فى الطريق • وتأمل رحمك الله الى أن الله سبحانه وتعالى لم يقبل عذرهم حين تنبهوا الى خطورة ما وقعوا فيه ليدل ذلك على أن هناك كفر لا تصح التوبة منه (٢) •

وقد نهينا الله تعالى الى أن هناك من يقع فى الضلال والشرك والكفر وهم مع ذلك لا يشعرون بما وقعوا فيه والدليل قول الله تعالى (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (٣) فهؤلاء أيضا ماظنوا أنهم على الحق الا لأن الشيطان قد زين لهم الضلال والخسران فى صور الطاعة — لدرجة أنهم خسروا كل أعمالهم — وهم مع ذلك الخسران الذى يؤدى بهم الى نار جهنم — يظنون أنهم على الحق ! وكذلك أيضا فالذين نحن بصددهم فى هذه الرسالة قد وقعوا فى الشرك وهم لا يشعرون • حيث أظهر الشيطان لهم الأصنام والأحجار فى

(١) سورة التوبة — ٦٥ — ٦٦ •

(٢) قال الامام ابن كثير فى اسباب نزول هذه الآية : قال عبد الله بن وهب : أخبرنى هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبد الله ابن عمر قال رجل فى غزوة تبوك فى مجلس • ما راينا مثل قراءنا هؤلاء أرغب بطونا • ولا أكذب سنا • ولا أجبن عند القاء • فقال رجل فى المسجد • كذبت ولائك منافق لاخبرن رسول الله ﷺ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن فقال عبد الله بن عمرو • وأنا رأيته متعلقا بحقبة ناقة رسول الله ﷺ تنكب الحجارة وهو يقول : يا رسول الله « انما كنا نخوض ونلعب » ورسول الله ﷺ يقول « أبا بالله وآياته كنتم تستهزؤن • • » فتأمل رحمك الله مرة أخرى — الى أن الاستهزاء بصحابة رسول الله ﷺ انما هو استهزاء بالله وآياته — لنعلم من هذا أيضا أن الاستهزاء بالمسلم لاجل اسلامه او لاجل التزامه بما شرع الله — ككفر — « خاصة فى الامور التى علم انها من الدين بالضرورة »

(٣) سورة الكهف — ١٠٣ — ١٠٤ •

قالب الأضرحة والمقامات • وأظهر لهم الفسق والفجور والزندقة فى صور الاحتفال بأموات هذه الأضرحة تشريفا وتكريما لهم • وأظهر لهم دعاء الأموات من دون الله أو دعاء الله بالأموات فى صورة أن هؤلاء لهم عند الله منزلة عالية وأن الله لا يرد دعاء من يلجأ اليه عن طريقهم — فتراهم يقولون على سبيل المثال يابدوى — يارفاعى — يادسوقى — ياأبا العينين — ياطاهرة — ومصيبة هؤلاء أنهم بعد أن دعوا الأموات من دون الله يظنون أنهم مسلمون واغتروا بأنهم يقولون لا اله الا الله وفاتهم أن المشركين والكفار كانوا يقولونها ورغم ذلك لم يدخلوا الاسلام •

والدليل قول الله تعالى : « قل من يرزقكم من السماء والارض — أمن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون » (١) • قل لمن الأرض ومن فيها أن كنتم تعلمون • (٨٤) سيقولون لله قل أفلا تذكرون • (٨٥) قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم • (٨٦) سيقولون لله قل أفلا تتقون • (٨٧) قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون • (٨٨) سيقولون لله قل فانى تسحرون » (٨٩) (٢) •

فهؤلاء المشركين والكفار كانوا يعلمون بأن الله هو وحده الرازق وهو وحده الذى يملك السمع والأبصار وهو وحده الذى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى — وهو وحده الذى يدبر الأمر — كما يشهدون بأن الأرض ومن فيها لله الواحد القهار — ويشهدون بأن رب السماوات والأرض بيده كل شىء — وبرغم كل هذه الصفات التى توفرت فيهم فانهم لم يدخلوا بها فى الاسلام — وذلك لأن توحيدهم لله — لم يكن كاملا — حيث أنهم لم يجمعوا بين توحيد الربوية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات — ولكنهم كانوا مقرون بتوحيد الربوية فقط — وهذا لا يكفى للدخول فى الاسلام — لأنه يتعين على الذى يؤمن

(١) سورة يونس ٣١ •

(٢) سورة المؤمنون ٨٤ — ٨٩ •

بأن الله هو وحده الخالق أن يعبدده ولا يشرك به شيئاً ويتعين على الذى يؤمن بأن الله هو وحده الرازق — أن لا يطلب الرزق منه عن طريق الوسائط — ويتعين على الذى يؤمن بأنه وحده على كل نىء تقدير — أن لا يستعين الا به .

والعجب كل العجب من هؤلاء الذين اغتروا بقولهم لا اله الا — الله — اذ كيف فاتهم أيضاً أن الذين كانوا يعبدون الأصنام فى عهد الرسول ﷺ كانوا أيضاً يؤمنون بالله سبحانه وتعالى والدليل على ذلك أن رسول الله ﷺ حين دعاهم الى عبادة الله وحده — وترك ما يعبدون من دونه — ما كان ردهم عليه الا أن قالوا : (مانعدهم) وذلك لعلمهم بأن الله هو وحده المستحق بالعبادة لأنه وحده النافع والضر — وهو وحده المعطى والمانع — وهو وحده المحى والمميت — والا ما معنى أنهم يدعونه لكشف ما بهم من الكروب عن طريق الوسائط ؟ .

ورغم ذلك فقد عرفوا بعباد الأصنام — هذا بدليل الآيات والأحاديث الواردة فى ذلك مع أن ظاهر كلامهم يقول بأنهم لا يعبدونها — ولكن — فقط — ينتقربون الى الله بها بدليل قول الله تعالى « **مانعدهم** **الا ليقربونا الى الله زلفى** » وهذا دليل واضح يبين أن من يتوسل الى الله بميت — ويعتقد فى أن هذا الميت ينفعه أو يضره ما هو الا عابد لهذا الميت — لأن دعاء الله سبحانه وتعالى عبادة والعبادة لا تكون الا لله فمن صرف منها شيئاً لغير الله يكون بذلك قد أشرك مع الله هذا الشىء الذى صرف العبادة له ولهذا يسمى مشرك ولا يغتر بما هو عليه من قول لا اله الا الله وصلاة وصيام وزكاة وحج وما الى ذلك من أعمال الدين — لأن القاعدة الفقهية تقول (أن من أنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة فهو كافر) وبالتالي لا ينفعه أى عمل يقوم به ودعاء الله وحده — أمر معلوم من الدين بالضرورة — وركيزة من الركائز التى يقوم عليها هذا الدين — فتأمل رحمك الله اذا ما أنكر المسلم المؤمن شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة صار كافراً أما يكون الكفر أقرب اليه اذا ما أنكر أصل هذا الدين وهو توحيد الله رب العالمين ؟ .

أما وقد تتطرق بنا الحديث عن الشرك وأحوال المشركين قبل أن

يصيرهم أوثانا تعبد من دون الله وليس ذلك ببعيد عنا • والدليل على ذلك ما يفعله القبوريون الآن عند الأضرحة من أفعال لا تختلف تماما عما كان يفعله المشركين والكفار فى الجاهلية الأولى • بل أن القبوريين فى زماننا هذا أشد فحشا وجرما عن المشركين الذين بعث اليهم الرسول ﷺ ليدعوهم الى التوحيد بدليل أن المشركين فى الجاهلية كانوا يدعون الله فى الضراء ويشركون به فى السراء والدليل قول الله تعالى « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لأن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين (١) قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون » (٢) •

أى أن هؤلاء المشركين كانوا يؤمنون بالله ويؤمنون بأنه سميع عليم مجيب الدعوات ويؤمنون أيضا بأن الله هو وحده المستحق بالحمد والشكر ولذلك كانوا يدعونه تضرعا وخفية • ولكن عندما يستجيب لهم الله وينجيهم ينسبون النجاة الى غيره فلهذا أصبحوا فى تعداد المشركين والكفار ولم ينفعهم ايمانهم بالله • وقال تعالى فى غيرهم : « فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون » (٣) فهؤلاء أيضا بلغ ايمانهم الى درجة الاخلاص وهو أعلى منزلة فى الايمان وليس بعده شئ •

فكلما انقطعت الأسباب عن الانسان كلما كان مخلصا فى دعوته • وهؤلاء المشركين كانوا فى البحر بعيدا عن أسباب النجاة فدعوا الله رب الأسباب فلما نجاهم الله تعالى نسبوا النجاة لغيره فذلك كانوا مشركين ولم يدخلوا فى الاسلام مع أنهم دعوا الله مخلصين له الدين من قبل • وأفردوه سبحانه وتعالى بالالوهية والربوبية فى نفس الوقت ويرجع عدم دخولهم فى الاسلام رغم هذه الصفات الحميدة الى أنهم أشركوا بعد ما كانوا عليه من الايمان بالله والاخلاص له فى الدعاء !

ولذلك قال الله تعالى محذرا المؤمنين من الشرك : « ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون » (٤) رغم أن المقصودين بهذا التحذير

• (٢٤١) سورة الانعام ٦٣ - ٦٤ •

• (٣) سورة النكبات ٦٥ •

• (٤) سورة الانعام ٨٨ •

الشديد كانوا عبادا لله بمعنى الكلمة وكانوا مخلصين له فى العبادة بمعنى الاخلاص • الا أن كل ذلك لا ينفعهم — لو أنهم أشركوا بالله بعد ذلك — ويلاحظ أن كلمة (لو) هنا تفيد أنه وقت أن يشركوا بالله سـتـحـبـط كل أعمالهم التى اجتهدوا زمنا طويلا فيها برغم مايكون فيها من صلاة وصيام وزكاة وحج واجتهاد فى النوافل ومعلوم أن القائم على هذه الأعمال باخلاص لله تعالى هو من أهل الجنة باذن الله — كما بين سبحانه وتعالى ذلك فى كتابه العزيز فى كثير من الآيات • لكن اذا أشرك بعد ذلك بالله كأن يعتقد فى ان الميت ينفع ويضر أو له تصرف فى الكون أو يستطيع قضاء الحاجات وتفريج الكربات أو أن التوسل به الى الله يزيل الهم ويبعد الغم ويفك الكرب • فان من يعتقد فى هذه المعتقدات أو تجتمع عنده واحدة منها فانه خرج من التوحيد الى الشرك ومن الاسلام الى الكفر (هذا ان أصر على ما هو عليه بعد أن يستتاب) ولا ينفعه أى عمل يقوم به حتى لو كان عابدا لله آناء الليل وأطراف النهار — فالأخوارج كانوا أكثر عبادة من الصحابة والمؤمنين فى عهد رسول الله ﷺ ورغم ذلك لم يكونوا على الهدى الصحيح لأتباعهم غير سبيل المؤمنين لتكون العبرة فى النهاية لمشروعية العبادة ومدى اخلاصها لله وليس بكثرتها ومن ذلك يتضح أيضا أن الشرك الذى أشرنا اليه سابقا ليس بمعصية فحسب وانما هو كفر مضيع لما قبله من الأعمال ومسبب فى احباطها بالكلية — فان تشابهت عليك هذه المسألة كان لابد أن نذكر لك مسألة أخرى أقل من السابقة فى ظاهرها قد تحبط الأعمال لمن يقع فيها أيضا حتى لو كانت مثل زيد البحر أو ترن جبل أحد — ودون أن يشعر صاحبها لسهولة الوقوع فيها أو عدم الانتباه لها واقراً معى قول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون » (١) •

فاذا علمت من هم المقصودون بهذا التحذير الشديد والانذار المخيف — تعجبت • انهما الشيخان أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما — أبا بكر الصحابى الأول للرسول ﷺ — وعمر الذى قال فيه

الرسول ﷺ لو كان نبى بعدى لكان عمر — فان كنت لا تصدق فتعالى
معى الى أصح كتب الحديث وهو كتاب صحيح البخارى حيث قال فى
الصحيح حدثنا يسره بن صفوان اللخمي حدثنا نافع بن عمر عن ابن
مليكة قال : كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضى الله عنهما رفعا
أصواتهما عند النبى ﷺ حين ركب عليه ركب بنى تميم فأشار أحدهما
بالأقرع بن حابس رضى الله عنه أخى بنى مجاشع وأشار الآخر برجل
آخر فان نافع لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما ما أردت
الا خلافى قال ما أردت الا خلافك فارتفعت أصواتهما فى ذلك فأنزل
الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم
لا تشعرون » (١) قال ابن الزبير رضى الله عنه فما كان عمر رضى الله عنه
يسمع من رسول ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه — ولم يذكر ذلك عن
أبيه يعنى أبا بكر رضى الله عنه •

فاذا علمت أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل القرآن فى أبى بكر
الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما — مهددا إياهما باحباط أعمالهما
وهما لا يشعران لمجرد أنهما رفعا أصواتهما عند النبى ﷺ تحققت وتأكدت
أن من لم يرضى بحكم الرسول ﷺ فيما جاءنا به من أحكام وشرائع
(معلومة من الدين بالضرورة) أولى باحباط العمل وأحق بالكفر من غيره
وتأكدت أيضا من كفر هذا الذى لم يرضى بحجة حديث متفق عليه كما
نص على ذلك جمهور العلماء سلفا وخلفا •

وقال البخارى أيضا فى صحيحه حدثنا على بن عبد الله حدثنا
أزهر بن سعد أخبرنا ابن عون أنبأنى موسى بن أنس بن مالك رضى الله
عنه أن النبى ﷺ أفنقد ثابت بن قيس رضى الله عنه فقال رجل يارسول
الله أنا أعلم لك علمه فأتاه فوجده فى بيته منكسا رأسه فقال شر كان
يرفع صوته فوق صوت النبى ﷺ فقد حبط عمله فهو من أهل النار فأتى
الرجل النبى ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا قال موسى فرجع اليه المرة

الأخيرة ببشارة عظيمة فقال اذهب اليه فقل له أنك لست من أهل النار ولا كنت من أهل الجنة •

فهذا صحابى أيضا من صحابة رسول الله ﷺ يقول على نفسه أنا من أهل النار قد حبط عملى لدرجة أنه اعتكف فى البيت ونكس رأسه حزنا على نفسه — لاعتقاده بأن الآية نزلت فيه لمجرد أنه رفيع الصوت عند النبى ﷺ فاذا أمعنت النظر فيما سبق وعلمت أبعاد المسألتين السابقتين اشتقت الى العلم كى تعلم ماربك وما دينك وما هو الرسول الذى بعث فيك قبل أن يدركك الموت ويأتيك الملكان يسألك بهذه الأسئلة فتقول لا أدرى كنت أسمع الناس يقولون شيئا وكنت أقوله !

فتأكد يا أخى مما تتلفظ به الآن حتى يثبتك الله بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فلعلك تتفوه بكلمة لاتلقى لها بالا تهوى بك فى النار سبعين خريفا كما حدثنا بذلك البشير النذير ﷺ وكما قال تعالى فى كتابه العزيز : « تحسبونه هينا وهو عند الله عظيم » •

وبعد أن بينت بعون الله أن المشركين كانوا يؤمنون بالله ويؤمنون بأنه هو وحده القادر على كل شىء لكنهم لم يدخلوا فى الاسلام وكانوا فى تعداد المشركين وبيئت أن السبب فى ذلك يرجع الى أنهم كانوا يؤمنون بالله وقدرته فى الضراء ويشركون به فى السراء أى عندما يستجيب لدعائهم أو لاتخاذهم وسائط بينهم وبين الله كان لابد أن نذكر لك بعض الأمثلة أيضا التى عليها القبورىون فى هذا الزمان ولتحكم أى الفريقين أحق بالكفر • يقول أحد القبوريين ناصحا أحد اخوانه فى الوثنية :

عليك بيت فيه للمحتمى العز
وللظالم الأسواء والذل والعجز
وذلك بيت القطب أحمد كنزا
من المدح فيه بالصرح كذا والرمز (١)

أى أنه اذا أصابك ظلم مامن أحد فما عليك الا أن تذهب الى ضريح البدوى تشكو اليه ضعفك وهوانك على الناس •

فصريح — البدوى — يحمى كل ضعيف مستضعف ويمنحه العزة
وهو فى نفس الوقت يصيب الظالم بالذل والعجز !

أما اذا كنت بعيدا عن صريح — البدوى — وأملت بك مصيبة •
وأردت أن تتخلص منها فما عليك الا أن تسمع هذا الوصف من أحد
القبوريين لتعلم كيف تتصل بالبدوى (دايركت) يقول :

يامن رماه الدهر بالاذعان

نادى بعزم يابأ فراج

فهو الأمان من الحوادث اذا أتت

وهو الملاذ لنا وعون الراجى

وهو المراد اذا الخطوب تراكت

وهو المجيب لدعوة المحتاج (١)

الله يقول فى كتابه : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب
دعوة الداعى اذا دعان » (٢) •

وهذا يدعى الناس الى مناجاة — البدوى —

ويقول الله تعالى : « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف
السوء » (٣) •

وهذا يدعى أن — البدوى — هو الأمان من الحوادث اذا أتت •

ويقول الله أيضا : « وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له
الا هو » (٤) •

وهذا يدعى أيضا أن — البدوى — هو المراد اذا الخطوب تراكت
وهو المجيب لدعوة المحتاج •

(١) الجوار السنيد ص ١٠٤ •

(٢) سورة البقرة ١٨٦ •

(٣) سورة النمل ٦٢ •

(٤) سورة الانعام ١٦ •

ويقول آخر مخاطبا البدوى :

بدوى النجاد أنجد ودارك

قد أتينا حماك ودارك

أنت زخرى وعونى وملازى

وأنا الآن داخل فى حلالك

أنجد — أنجد — هيا — هيا سريعا

ذمة العرب لا تضيع بذلك (١)

أنظر اليه وهو يقول — للبدوى — الميت — أنت زخرى وعونى
وملازى • ثم أنظر اليه وهو يستنجد به فى لهفة مجنونة قائلا أنجد
أنجد — هيا — هيا سريعا !

وكان الميت بيده كل شىء وهو على كل شىء قدير : اذ لو كان هذا
المناجى يعتقد فى — البدوى — غير ذلك لما قال أنجد — أنجد — هيا
هيا — سريعا •

ويقول آخر وقد منح — البدوى — صفات الله وأسمائه :

انى أتيتك ياذا المشرع العالى

فانظر بلحظك فى شأنى وفى حالى

ولا تكلنى الى من ليس ينصرنى

ولا الى ذى جفا للعهد لى قالى

ففاقتى لك ياذا الطول قد علمت

من كسر قلبه ومن حالى ومن قالى (٢)

هكذا وبكل بساطة منحوا — البدوى الميت — كل صفات وأسماء الله
تعالى اذ يقول : ياذا المشرع — ياذا الطول •

(١) الجواهر ص ١٢٠ •

(٢) الجواهر ص ١٢٤ •

فبينما يقول الله تعالى :

« والله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في

أسمائه » (١) •

يدعى القبوريين أن — للبدوى — أسماء حسنى يدعونه بها :

ويقول تعالى : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » (٢) •

وهؤلاء يشبهون — البدوى — بالله فى الصفات والأفعال •

ويقول آخر معلما اخوانه آداب الوقوف بين يدى البدوى :

فمرغ الخد فى اعتاب حضرته

لعله بالرضا والبشر يلقاك (٣)

أى ينبغي على الزائر اذا أتى ضريح — البدوى أن يمرغ خديه

فى أعتاب ضريحه لعله بهذا التمرغ — ينال الرضا — والبشر — من

الميت — ويلاحظ هنا أن كلمة (لعله) تعنى أنه ربما يمرغ الزائر خديه

فى أعتاب ضريح — البدوى — ولا يقابل بالبشر — والرضا —

والترحاب ! •

وأسأل ما الذى يفعله الزائر اذا بعد أن يمرغ خديه فى أعتاب

البدوى حتى يقابل بالبشر — والرضا — والترحاب ؟!

وماذا سيحدث لمن يمرغ خديه فى أعتاب ضريح البدوى ؟

وماذا سيحدث للزائر ان لم يرضى عنه البدوى ؟؟؟

بل وماذا سيحدث لمن يزور البدوى — فى حياته ؟

وبعد أن منح القبوريين — البدوى — كل صفات وأسماء الله

تعالى كما قرأت أقوالهم •

يلاحظ أنه بقيت صفة واحدة وهى صفة لا يختص بها الا الله وحده

ألا وهى صفة المغفرة • فمعلوم أن الله هو وحده غفار الذنوب ولكن

القبوريين يقولوا أن — البدوى — أيضا يغفر الذنوب اذ يدعى أحدهم

أن — البدوى — قال :

(١) سورة الاعراف ١٨٠ •

(٢) سورة الشورى ١١ •

(٣) الجواهر ١٢١ •

فمن زارنى تحت فيه ذنوبه
وفاز بالغفران لما قد جنى قبل

وعاد الى أوطانه فى جلاله

وعز وتكريم وقد عمه الفضل (١)

ويدعى قائل هذا البيت أنه من كانت له ذنوب فما عليه الا أن يقوم
بزيارة — للبدوى ويتوب اليه — من المعاصى التى ارتكبها — سواء
كانت هذه المعاصى التى ارتكبها من الكبائر أو الصغار فرحمة — البدوى —
وسعت كل شيء وبأذن — البدوى — سيفوز بالغفران وستنتحى عنه
ذنوبه حتى لو كانت مثل زبد البحر — وسيرجع بعد ذلك الى أوطانه فى
جلاله وعز وتكريم وقد عمه الفضل !

وهكذا منح القبوريين — البدوى — كل صفات الله من أفعال
لا يقدر عليها الا الله حتى حتى أصبح — الميت المقبور — غافر الذنب —
قابل التوب — شديد العقاب — ذى الطول !

ولما كان — البدوى — فى نظر الذين عبدوه من دون الله —
غافر الذنب — قابل التوب — شديد العقاب — ذى الطول — فلا مانع اذا
من أن يسبحوا بحمده بكرة وأصيلا لما له من فضل عيهم أجمعين •
فتراهم يقولون :

من عننا احسانه فيحمده

وبمدمحه وشكره نترنم (٢)

بل وصل الضلال بهؤلاء الى أنهم الفوا حديثا نسبوه الى الله تعالى
اذ يقولون ان الله تعالى قال فى حديث قدسى :

(الملك ملكى وصرفت فيه البدوى)

ولا تعجب فهذا الحديث الملق ما هو الاتفسير لما سبق من
أقوال الشعراء •

(١) الجواهر ١٢٣ •

(٢) الجواهر ص ١٢٨ •

كان هذا بالنسبة للذين فتنوا بانبدوى وبالضريح المشيد له بطنطا •

أما بالنسبة للذين فتنوا بإبراهيم الدسوقي فقد نسب إلى الشعراني أنه قال في الطبقات أن إبراهيم الدسوقي قال :

(أنا بيدى أبواب النار أغلقتها وبيدى جنة الفردوس فتحتها • من زارنى أسكنته جنة الفردوس) وبالتالى فان صاحب هذا الزعم يكون قد وفر على الناس مشقة العبادة من صلاة وصيام وزكاة وحج البيت الحرام •

وبالتالى لاخوف على الذين اقترفوا المعاصى وكبائر الذنوب •
فالنار قد أغلقت وجنة الفردوس قد فتحت ! (والبركة فى اللمة ياهو)
واذا سلمنا جدلا بأن جنة الفردوس قد تم حجزها لزوار —
إبراهيم الدسوقي — فما مصير الذين كانوا قبل إبراهيم الدسوقي أو
الذين لم يقوموا بزيارة صريحه ؟

الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز : « يوم نقول لجنهم هل
امتألت ؟ فنقول هل من مزيد ؟ » (١) •

والتقويرون يقولون : أنها أغلقت بفرمان — من إبراهيم الدسوقي •
وبينما يجمع الرسول ﷺ أهل بيته ويقول لهم اعملوا ما شئتم
لأغنى عنكم من الله شيئا •

يزعم البعض أن جنة الفردوس بيد إبراهيم الدسوقي وقد تم
حجزها مقدما لزوار ضريحه •

وعندما نتعرض للحديث عن جنة الفردوس فاننا نجد أن الله
سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس نزلا ٠٠٠ » (٢) •

وصاحب أدنى فهم يرى من خلال هذه الآية أن جنة الفردوس
ليست ملكا خاصا لأحد من الناس • بل ان الله سبحانه وتعالى قد أعدها
 لعباده المؤمنين — أصحاب الأعمال الصالحة الخالصة لوجهة تعالى •

(١) سورة ق ٣٠ •

(٢) سورة الكهف ١٠٧ •

وعلى الصعيد العربى فقد صرح الشيخ محمد عثمان البرهانى زعيم البرهانية بالسودان أن الدسوقي هو الذى قاد الجيش فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ بجسده !!

وصاحب هذا الزعم مطالب بأن يفيدنا بنوع السلاح الذى كان ينتمى اليه — الدسوقي ؟ هل كان فى سلاح المشاة — أم المهندسين — أم الدفاع الجوى — أم البحرى — أم الاستطلاع — أم المدرعات — أم المظلات — أم فى سلاح الإشارة ؟ !!

ومطالب بأن يقول لنا عن الأسباب التى منعت ابراهيم من الاشتراك فى حرب يونيه ١٩٦٧ — مادام له اتصال مباشر به وعلى علم بتحركاته الداخلية والخارجية !

وبالتأكيد لو كان النصر حليفنا فى هذه الحرب لزعم أنه كان فيها ولكن لأن الأمر كان غير ذلك فلم يتكلم •

أما بالنسبة للذين فتنوا بأحمد الرفاعى — فقد ادعى أحمد الصاوى :

ان الرفاعى أراد أن يشتري بستان (حديقة) فأبى صاحبه أن يبيعه الا بقصر فى الجنة فقال له — قد اشتريت منك بذلك • وكتب له عقد هذه صورته : بسم الله الرحمن الرحيم — هذا ما اتباع اسماعيل من العبد أحمد الرفاعى ضامنا على الله قصرا فى الجنة يحده حدود •

الأول : جنة عدن •

والثانى : لجنة المأوى •

والثالثة : لجنة الخلد •

والرابع : لجنة الفردوس بجميع صوره وولدانه وفرشه وأشربته وأنهاره وأشجاره عوضا عن بستانه فى الدنيا — والله شاهد على ذلك وكفيل • فلما مات اسماعيل أى مشتري القصر — دفن معه العقد — فأصبحوا واذا مكتوب على قبره •

(وقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً)

أنظر الى هذه القصة بتمعن لترى كيف تخللتها سموم الوثنية في خبث ودهاء مريب — ويلاحظ في هذه الرواية أن مؤلفها — أحمد الصاوى — قد منح الرفاعى حق التصرف في قصور الجنة بما فيها جنة (الفردوس) بقصورها وولدانها وفرشها وأشجارها وأبحارها وأنهارها ويلاحظ أيضاً أن هناك قبورى سابق قد قال ان جنة الفردوس هى ملك — ابراهيم الدسوقى — وقد تم حجزها لزوار ضريحة ! وهنا يدعى هذا القبورى هو الآخر ان جنة الفردوس هى من الجنان التى يتحكم فيها الرفاعى أيضاً ولذلك فقد منحها هدية بجانب القصر ثمناً لقطعة الأرض التى اشتراها !

واذا سلمنا بصحة هذه الرواية فلنا أن نسأل ؟

هل كان دخول الجنة فى عهد الرفاعى ثمناً لبيع الأرض له أم كان بالعمل الصالح الخالص لوجه الله • وإذا خاطبنا هؤلاء على قدر عقولهم وسلمنا مؤقتاً بصحة هذه الروايات فأين سيكون مصير من كانوا فى عهد الرفاعى ولم تكن فى حيازتهم أى أرض ؟

ألا ترى يا أخى أن هذه القصة فى مضمونها قد سبقت قصة بيع الأهرامات الثلاثة لأحد السذج • وخلاصة القول : أن القبوريين قد أعطوا — البدوى — حق التصرف فى الوجود — وقضاء الحاجات وتفريخ الكريات وكشف المعاهات — وأخيراً منحوا له حق الغفران ومنحوا للدسوقى — حق اغلاق أبواب النار ودخول جنة (الفردوس) وللرفاعى — حق التصرف فى قصورها وجناتها (١) •

(١) يتهمنا البعض بأننا نقل من شأن الأولياء والصالحين وننكر ما تفضل الله عليهم من كرامات وهذا قول خاطئ • لأن المتمعن فى كلامنا لا يجد والحمد لله حرفاً واحداً فى حق أحد من الأموات • ولكن كان الكلام دائماً على هؤلاء الذين فتنوا بهم وعلى ما نسبوه إليهم من أقوال لاتصدر إلا من جاهل بأصول ديننا الحنيف •

وليعلم فى نفس الوقت أن الفتنة بالانبياء والصالحين ليس فيها ثمة تقليل من قدرهم ومكانتهم عند الله سبحانه وتعالى — ولكن الخسران والمهلك لمن فتنوا بهم فالذين فتنوا بميسى عليه السلام واتخذوه من دون الله لها لم يظلوا من شأن رسالته • ولذلك حذر الرسول ﷺ أمته مما وقع فيه قوم عيسى عليه السلام حيث قال فى الحديث «لاتطرونى كما أطرت النصارى بن مريم ولكن قولوا يقولكم عبد الله ورسوله » •

ولا تعجب فليس بعد الكفر ذنب •

ويروى الشعرائى أيضا عن الرفاعى أنه لما ذهب ليحج وقف أمام
قبر الرسول ﷺ وقال :

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها

تقيل الأرض عنى وهى نائبتى

وهذه دولة الأسباح قد حضرت

فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

فمد رسول الله ﷺ يده من داخل القبر فقبلها الرفاعى ثم أدخل
الرسول ﷺ يده من أخرى ! وبالتحقيق فى هذه الرواية المختلفة نجد
أنها لا تتفق بأى حال من الأحوال مع المقاييس التى تعارفنا عليها سواء
كانت هذه المقاييس عقلية أو شرعية لأنه من المعلوم لدينا أنه لا يوجد على
الأرض من هو أشد حبا للرسول ﷺ من الصحابة عامة والخلفاء
الراشدين خاصة • ورغم ذلك لم نسمع مثلاً أن أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب رضى الله عنه ذهب الى قبر الرسول ﷺ ودار بينهما حديثاً
ما • • فضلا عن خروج اليد لتقبيلها — وكذلك بالنسبة للصحابى الأول
للرسول ﷺ أبابكر الصديق والامام الجليل على بن أبى طالب رضى الله
عنه وغيرهم ممن عرفوا بحبهم الشديد لرسول الله ﷺ لم يؤثر عن أحد
منهم أنه كان له حالا مع الرسول ﷺ بعد موته ولم يؤثر أيضا عن أحد
أنه ذهب الى قبر الرسول ﷺ وطلب منه أن يمد يده لى يقبلها وذلك لأنهم
أصحاب عقيدة صحيحة بعيدة كل البعد عن الوثنية والشرك والوهم
والخيال • فاذا كان هذا هو حال الصحابة مع حبيبهم رسول الله ﷺ
بعد الممات فكيف بمن دونهم بل كيف يقال أن يد الرسول ﷺ قد
خرجت من القبر بناء على الطلب المقدم من قبل الرفاعى ليقبلها ثم
دخلت مرة أخرى ! •

وخلاصة القول أنه لو كان من الجائز حدوث ذلك لكان الصحابة
رضى الله عنهم أجمعين أولى بالرسول ﷺ من غيرهم — ولكن لأنه لم
يؤثر عن أحد منهم أنه فعل ذلك أو كلم الرسول من خارج القبر ورد عليه

الرسول ﷺ فان ما سبق ذكره من قبل الشعرائى ما هو الا وهم وخيال ليس له سند عقلى أو شرعى (١) •

وأیضا لا تعجب يا أخى اذا ما علمت أن من بین هؤلاء من يقف أمام الميت خاشعا ذاكرا داعيا ذاك الميت الذى لو كان حيا ما كان لينفع نفسه ولا يستطيع دفع ضرر نزل به •

فتراه يقف أمامه وقفة الذليل ويبتهل اليه ابتهاال المسكين وكأنه أمام رب العالمين ليقول مخاطبا ذلك الميت (العارف لا يعرف وجنتك فتصرف والشكوى لأهل البصيرة عيب • وأنت يا قطب الأقطاب تعرف كل شيء ولست بحاجة الى تفسير أو كلام) •

وما ذكرته آنفا انما هو تلخيص لعقيدة القبوریین فيما عرف بينهم بأولياء الله الصالحين فهذا الذى وقف أمام أحد أوثان الشرك المسمى عندهم بالمقام يقول فى وقاحة العارف لا يعرف أى أنت أيها القطب تعرف ما بى من الهم والغم والكرب وتعرف لماذا جئت اليك قاصداك وحدك فما ذهبت لأحد غيرك فأنت وحدك الذى تملك فك همى وغمى وكربى ولست بحاجة الى أن أقول ذلك •

فيا مصرف أحوالنا تصرف فى أمرنا ولو لم تكن الشكوى لأهل البصيرة عيب لزدت فى شكواى فأنت يا قطب الأقطاب تعرف كل شيء ولست بحاجة الى تفسير أو كلام • ترى يا أخى ماذا بقى لله سبحانه

(١) كانت هذه مقتطفات من أقوال هؤلاء الذين اعتقدوا فى البدوى — والدسوقي والرفاعى وغيرهم من الأموات — ذكرتها على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر ولا كن من أراد ان يتعرف على الوثنية بأصولها المتفرعة فعليه بكتاب الجواهر السننية لعبد الصمد الحميدى ، كتاب الطبقات الكبرى للشعرائى — فهذان الكتابان فيهما كثير من النقول التى لا تعبر الا عن الفكر الصريح لمن نسبت اليه •

وليعلم أن هذا هو حال المتقين من القبوریین كما هو واضح من خلال أسفارهم المقدسة بكل ما هو باطل • ولا يفتقر بقول العامة من انهم ليسوا على شاكلة هؤلاء • فهم يدينون لهم بكل الحب والولاء والعرفان والتقدير — والا كيف يتكروا لما سبق من أقوال السفهاء وهم مع هذا الانكار المزيف يقولون — مدد يادسوقى — مدد يابودى — مدد يابو العينين — مدد يابو السباع — مدد ياطاهرة — مدد يا أمير الجيوش — مدد ياقناوى — مدد ياعبد القادر — مدد يا باشة الامارة — مدد يا كايدهم •

ليس هذا معناه — انهم يعتقدون فى ان الأموات قادرين على جلب المصالح لهم ورد المصائب عنهم والا ما معنى كلمة « مدد » •

وتعالى ؟ وليس هذا الكلام فيه ثمة غرابة اذا ما قورن بالذى قيل قبله على لسان القبوريين أنفسهم وحتى يا أخى لاتظن أن فى كلامى افتراء على هؤلاء — فاليك ماكتبه أحمد التيجانى عن قطب الأقطاب فى كتاب (جواهر المعانى ص ٨١) اذ يقول : (ومما أكرم الله به قطب الأقطاب أن يعلمه الله علم ما قبل الوجود والكون وما وراءه ومالا نهاية له وان يعلمه علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذروة من جميع الموجودات وان يخصه بأسرار دائرة الاحاطة وجميع فيوضاته وما احتوى عليه) . فاذا كان التيجانى يزعم بأن قطب الأقطاب عنده علم ما قبل الوجود والكون وما وراءه ومالا نهاية له فأين أذهب يقول الله تعالى :

« وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت .. » (١) .

وأين أذهب أيضا بقوله تعالى :

« .. وما أوتيتم من العلم الا قليلا » (٢) .

ويقول تعالى « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله .. » (٣) .

ويقول تعالى « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو .. » (٤) . ويأمر الله سبحانه وتعالى رسوله بأن يقول لقومه : « قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء .. » (٥) .

ترى هل كان هذا المسمى بقطب الأقطاب أحب وأقرب الى الله تعالى من الأنبياء والرسل والصحابة رضى الله عنهم أجمعين فيعطيه الله علم ما قبل وجود الكون وما وراءه وما لانهاية له ويحرمه من أنبيائه ورسله والصالحين من عبادہ ؟

(١) سورة

(٢) سورة الاسراء ٨٥ .

(٣) سورة النمل ٦٥ .

(٤) سورة الانعام ٥٩ .

(٥) سورة الاعراف ٨٨ .

وأحاول الآن جاهدا أن أمسك بالقلم حتى لا تتشعب بنا الأمور
وليكون لنا مع هذا القطب الخرافى وقفة أخرى لنبين فيها ان شاء الله
كيف يتصرف هذا القطب فى الكون بمساعدة الامامان — والأوتاد الأربعة
والأبدال والنجباء والنقباء !!

ولنتعرف أيضا على ما يسمى عندهم بالديوان ورئيس الديوان أو
رئيسة الديوان ومكانه ووقت انعقاده ليتبين لكم كيف تتحكم محكمة
الدرأويش العليا بقيادة رئيس الديوان أو رئيسة الديوان فى أقـدار
الله •

(نور من الله)

أيها القسوريون ألم تقرؤا قوله تعالى « أليس الله بكاف عبده ... » (١) .

حتى تذهبوا لميت لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا .
أكان الله يخيلا فتتخذوا له وسيطا كي يستجيب لكم وهو القائل
« وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » (٢) .
أم كان الله لا يعلم بحاجتكم فأخذتم له من يخبره وهو القائل :
« ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (٣) .

أم كان الله ظالما فأخذتم له من يعينه على ظلمه وهو القائل :
« ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤتى من لدنه
اجرا عظيما » (٤) .

أما قرأتم قوله تعالى : « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه
لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالفه
وما دعاء الكافرين الا فى ضلال » (٥) .

وقوله تعالى : « ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين . ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد
يبيطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها . أم لهم آذان يسمعون بها قل
أدعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون » (٦) .

ويقول تعالى : « ذالكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه
ما يملكون من قطمير » (٧) . ان تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا
ماستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل
خبير » (٨) .

(١) سورة الزمر ٣٦ .

(٢) سورة البقرة ١٨٦ .

(٣) سورة تبارك ١٤ .

(٤) سورة النساء ٤٠ .

(٥) سورة الرعد ١٤ .

(٦) سورة الاعراف ١٩٣ — ١٩٥ .

(٧) سورة فاطر ١٣ — ١٤ .

ويقول تعالى : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » (١) .

ويقول تعالى : « قل من رب السموات والأرض قل الله قل فأتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا » (٢) .
ويقول تعالى : « وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله » (٣) .

ويقول تعالى : « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض . سبحانه وتعالى عما يشركون » (٤) .
ويقول تعالى : « قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني الله برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون » (٥) .

ويقول تعالى : « أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أله مع الله قليلا ما تذكرون » (٦) .
ويقول تعالى : « قل من رب السموات والأرض قل الله قل فأتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركا خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خلق كل شيء وهو الواحد القهار » (٧) .

ويقول تعالى : « ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا لمن الظالمين » (٨) .
ويقول تعالى : « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون » (٩) .

- (١) سورة العنكبوت ٤١ (٢) سورة الرعد ١٦ (٣) سورة يونس ١٠٧ . .
(٤) سورة يونس ١٨
(٥) سورة الزمر — ٣٨ —
(٦) سورة النحل ٦٢
(٧) سورة الرعد ١٦
(٨) سورة يونس ١٠٦
(٩) سورة الاحقاف ٥

فهذه آيات عديدة من لدن حكيم عليم نكتفى يذكرها تبين أن من يدعو غير الله أو يشرك مع الله أحد فى دعوته وتوسله فقد أشرك بالله سبحانه وتعالى وليكن لنا بعد ذلك فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة وهو يعلم أصحابه ويعلمنا كيف نكون على التوحيد الخالص لله رب العالمين .

١ — وفى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : (تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله — ثم — ما شاء محمد) رواه ابن ماجه .

وبذلك يكون الرسول ﷺ قد نهى أن تقرن مشيئة الخالق بمشيئة الخلق . وفى قوله ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء محمد توضيح أن مشيئة الخلق لا تكون الا اذا شاء الخالق اذ يقول الله سبحانه وتعالى « **وماتشاورن الا أن يشاء الله** » (١) .

ويقول تعالى :

« **ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا** (٢) **الا أن يشاء الله** ٠٠ (٣) »

٢ — وقال رجل للرسول ﷺ ما شاء الله وشئت فقال « : أ جعلتني لله ندا ؟ قل ما شاء الله وحده » رواه النسائي .

فدل ذلك على أن من يقرن مشيئة الخلق بمشيئة الخالق فقد جعل لله ندا حتى لو كان أحد خلقه أتقاهم وأقربهم الى الله وفى ذلك يقول تعالى « **ولاتجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون** » (٤) .

٣ — روى الطبرانى باسناده (أنه كان فى زمن النبى ﷺ رجل يؤذى المؤمنين فقال بعضهم : قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق . قال النبى ﷺ : (أنه لا يستغاث بى وإنما يستغاث بالله) .

٤ — وفى الصحيح عن أنس قال : شج النبى ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته فقال « **كيف يفلح قوم شجوا نبيهم فنزلت ليس لك من الأمر شيء** ٠٠٠٠ » (٥) .

(١) سورة الانسان ٣٠ .

(٢) سورة الكهف ٢٢ ، ٢٣ .

(٤) سورة البقرة ٢٢ .

(٥) سورة آل عمران ١٢٨ .

أى أن فلاحهم أو عدم فلاحهم ليس من أمر النبى ﷺ انما هو بيد الله .

وقد روى هذا الحديث عن طريق ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : اذا رفع يده من الركوع فى الركعة الأخيرة من الفجر اللهم ألعن فلانا بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فنزلت الآية « ليس لك من الأمر شىء » .

وفى رواية أخرى يدعو على صفوان بن أمية وابن عمرو الحارث ابن هشام فنزلت : « ليس لك من الأمر شىء » .

فهذا الحديث والذي روى من طرق عديدة يدل دلالة قاطعة على أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن يملك من الأمر شيئاً حتى لنفسه . وقد أوحى الله سبحانه وتعالى الى رسوله ﷺ بأن يخبر أمته بذلك — قال تعالى لرسوله : (قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً الا ما شاء الله) (١)

٥ — روى فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال :
(لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبتة بعير له رغاء يقول : يا رسول الله . أغثنى . فأقول : لا أملك لك من الأمر شيئاً .

وقد ثبت أيضاً فى الحديث الصحيح أن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال حين أنزل عليه « وأنذر عشيرتكم الأقربين » (٢) يامعشر قريش — أو كلمة نحوها ، اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم شيئاً . ياعباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً . ياصفية عمة رسول الله ﷺ لا أغنى عنك من الله شيئاً ويافاطمة بنت محمد سليمانى من مالى ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئاً .

وفى رواية (يابنى كعب أنقذوا أنفسكم من النار يابنى عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يابنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يابنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يافاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار فانى لا أملك لكم من الله شيئاً) .

(١) سورة الإمبراق ١٨ .

(٢) سورة الشعراء ٢١٤ .

فانظر يا أخى إذا ما كان الرسول ﷺ يخبر أهله وهم أقرب الناس إليه ويقول لهم أنى لا أغنى عنكم من الله شيئاً وهو المعصوم والذى له عند ربه منزلة عالية فكيف بمن يعلقون مصيرهم ببعض الأموات الخطائين ويلجأون اليهم ويتخذونهم وسطاء لله تعالى ويقولون هؤلاء شعفونا عند الله ؟ ولكن عندما يواجه القبوريين بهذه الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية التى تكشف عقيدتهم الوثنية وعندما لا يجدون مفراً منها يدعون أنهم لا يذهبون الى تلك الأضرحة الا لزيارتهم وقراءة الفاتحة ترحماً على أرواحهم من حيث لا يدرون أن ادعائهم هذا قد كشف القناع عن أمور كثيرة لا يجرؤن على التصريح بها • وحتى لا تضيع الحقيقة فى هذا الأمر أيضاً لزم علينا أن نقف وقفه مع رسول الله ﷺ فى هديه لزيارة المقابر •

١ — عن عائشة رضى الله عنها قالت (كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها منه يخرج من آخر الله الى البقيع ، فيقول «السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأتاكم ماتوعدون • غدا مؤجلون • وانا انشاء الله بكم لاحقون • اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد » رواه مسلم •

٢ — وعن عائشة أيضاً (أن جبريل أتاه فقال : ان ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم قالت: قلت : كيف أقول لهم يارسول الله • قال : قولى : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين • ويرحم الله المستقدمين منا المستأخرين • وانا ان شاء الله بكم الاحقون) • رواه مسلم •

٣ — عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ يعظهم اذا خرجوا الى المقابر أن يقولوا : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين • وانا ان شاء الله بكم الاحقون روام مسلم •
فهذه روايات صحيحة عن رسول الله ﷺ فضلاً عن وجود روايات أخرى كثيرة فى نفس الباب تبين ماكان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام فى زيارتهم المقابر •

هذا وقد نهى الرسول ﷺ عن قراءة القرآن فى المقابر والدليل ما رواه مسلم فى صحيحة أن رسول الله ﷺ قال «لاتجعلوا بيتوكم مقابر

أن الشيطان يفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة « أى لاتجعلوا بيوتكم كالمقابر التى لا يقرأ فيها القرآن — وهذا الحديث فيه دليل أيضا على أن المخاطبين به كانوا على علم بأن المقابر لا يقرأ عندها القرآن — وأن هذا هو المشهور عندهم فهل يلتزم القبورين بهذه الآداب عند زيارتهم للمقابر ؟ أم أنهم راحوا يتنافسون فى طلب المدد من الموتى ؟ ثم اننا نكتشف من الأحاديث السابقة ما يلى :

أولا : أن الله عز وجل هو الذى كان يعلم الرسول ﷺ آداب الزيارة أى أن آداب الزيارة ليست من عند رسول الله ﷺ فحسب وانما هى من عند الله رب العالمين • ولو افترض أنها من عند رسول الله ﷺ فحسب لا ينبغى مخالفتها لقول الله تعالى :

« • • وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا • • » (١) •

ثانيا : لم يكن من هدى الرسول ﷺ قراءة الفاتحة أو غيرها من السور على مقابر الأموات ، بل كان هدية أنه كان اذا دخل المقابر بدأ بالسلام عليهم ثم أخذ يدعو لهم كما هو واضح من الأحاديث السابقة وخاصة الحديث رقم (٤) •

ثالثا : أنه لو كانت قراءة الفاتحة أو غيرها من السور ترحما على أرواح الأموات من سنن الزيارة لقرأها رسول الله ﷺ وأوصى صحابته الكرام بقرائتها • ولكن علم الرسول ﷺ أن ماينفع الأموات فى قبورهم هو الدعاء لهم فكان يكثر منه •

رابعا : القول بجواز قراءة الفاتحة على أرواح الأموات فيه مغالطة صريحة • اذ لو كانت قراءة الفاتحة على الأموات فيها فائدة تعود عليهم لما خفى ذلك على رسول الله ﷺ بل فيه اتهام له بأنه فاتته أن يترحم على الأموات من المسلمين • وحاشا له ذلك وقد وصفه الله لنا فى كتابه العزيز فقال عنه (حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم • •) فكيف بمن هو حريص علينا رؤوف رحيم بنا • يفوته أن يترحمهم على من سبقونا بالايمان ؟

خامسا : يقول الرسول ﷺ : (من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) • متفق عليه •

أى من أتى بشئ ليس فى كتاب الله ولا سنة الرسول ﷺ وأدعى أنه من الدين فهو مردود عليه لا يعمل به • وقراءة الفاتحة على المقابر على أرواح الأموات كما هو شائع اليوم • أمر لم يأتى لا فى آية من آيات الله ولا فى حديث من أحاديث رسولنا الكريم • ولم يأت به أحد من السلف الصالح • وبالتالي فهذا الأمر مردود على من قال به •

سادسا : ربقائل يقول انى أقرأ الفاتحة والفاتحة من القرآن فهل لا يجوز لى قراءة القرآن ترحما على أمواتنا ؟ قلنا له : اذا كنت حقا تريد أن تترحم على أموات المسلمين ويهمك هذا الأمر فالأولى بل أن تتبع من هو أرحم منا جميعا على الأحياء والأموات باتباع ماكان عليه رسول الله ﷺ فى مثل هذا الموضوع • لأن ما جاء به الحبيب ﷺ هو الأفضل والأكمل ولن يأتى أحد بأفضل مما جاء به •

ونحن لا نحرمك من قراءة القرآن ولكن نقول ان لكل قول وقت ومكان يقال فيه فعندما نهى عن قراءة القرآن فى الخلاء أكان ذلك نهيا مطلقا لعدم قرائته ؟ وهل عندما نهى عن قراءته أيضا بصوت مرتفع فيشوش على المصلين أكان ذلك النهى نهيا عاما ؟

وخلاصة القول أنه مادام هناك نصوص صريحة فى زيارة المقابر من حيث السلام على الأموات والدعاء لهم فانه لا يصح بعد ذلك الاجتهاد مع هذه النصوص الصريحة واكتفى بهذا القدر للكلام فى هذه المسألة وان كنت أطلت فيها شيئا مافذلك لأنها آخر حجة أمام القبورين يلجأون اليها اذا ما فنيت ادعائاتهم المزعومة • وأردت بذلك أن أبين أنها أيضا حجة واهية •

وقال صاحب معارج القبول الشيخ (حافظ أحمد بن حكيم) فى ذلك :

ثم الزيارة على أقسام
ثلاثة يا أمة الاسلام
فان نبوى الزائر فيما أضمره
فى نفسه تذكره بالآخرة
ثم الدعاء له وللموات
بالعفو والصفح عن الزلات
ولم يكن شد الرحال نحوها
ولم يقل هجرا كقول السفاها
كذلك سنة أتت صريحة
فى السنن المثبتة الصحيحة
ففى هذه الأبيات يبين الشاعر أن زيارة المقابر تنقسم الى ثلاثة
أقسام :

الأولى : الزيارة السنية وهى التى كان عليها رسول الله ﷺ والسلف
الصالح وتابعيهم باحسان الى الآن ، وفيها يتعظ الزائر من تذكره للموت
ويدعو للموات بالمغفرة والرحمة •

الثانية : وهى الزيارة البدعية والتى عليها عامة الناس اليوم الا من
رحم الله اذ لا يلتزم فيها الزائر بما أثر عن رسول الله ﷺ وصحابته
الكرام والسلف الصالح رضوان الله عليهم وبالتالي لا يتحصل الزائر
على مقصود زيارته •

الثالثة : الزيارة الشركية والتى عليها القبورىون الآن لاعتقادهم
الفاسد فى أن أموات تلك الأضرحة يملكون لهم النفع والضر • ويمدوهم
بالعون والممدد •

خطبة الامام ابن القيم

فى الفرق بين زيارة الموحدين للقبور وزيارة المشركين

هذا وللامام ابن القيم خطبة كافية شافية يبين فيها الفرق بين
زيارة الموحدين للقبور وزيارة المشركين يقول :

أما زيارة الموحدين : فمقصودها ثلاثة أشياء :

أحدهما : تذكر الآخرة ، والاعتبار ، والانتعاظ . وقد أشار النبي ﷺ الى ذلك بقوله : « زوروا القبور ، فانها تذكركم بالآخرة » (١) .

الثانى : الاحسان الى الميت ، وان لا يطول عهده به ، فيهجره ، ويتناساه ، كما اذا ترك زيارة الحى مدة طويلة تناساه ، فاذا زار الحى فرح بزيارته وسر بذلك ، فالميت أولى . لأنه قد صار فى دار قد هجر أهلها اخوانهم وأهلهم ومعارفهم . فاذا زاره وأهدى اليه هدية : من دعاء ، أو صدقة . أو أهدى قربة . ازداد بذلك سروره وفرحه ، كما يسر الحى بمن يزوره ويهدى له . ولهذا شرع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم للزائرين ان يدعوا لأهل القبور بالمغفرة والرحمة ، وسؤال العاقبة فقط ، ولم يشرع أن يدعوهم ، ولا أن يدعوا بهم ، ولا يصلى عندهم .

الثالث : احسان الزائر الى نفسه باتباع السنة ، والوقوف عندما شرعه الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، فيحسن الى نفسه والى المزور .

وأما الزيارة الشركية : فأصلها مأخوذ عن عباد الأصنام .

قالوا : الميت المعظم ، الذى لروحه قرب ومنزلة ومزية عند الله تعالى ، لا يزال تأتية الألفاظ من الله تعالى ، وتفيض على روحه الخيرات . فاذا علق الزائر روحه به ، وأدناها منه ، فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألفاظ بواسطها . كما ينعكس الشعاع من المرأة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له .

قالوا : فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه الى الميت ، ويكف بهمة عليه ، ويوجه قصده كله واقباله عليه ، بحيث لا يبقى فيه التفات الى غيره . وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم ، كان أقرب الى انتفاعه به .

وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابى وغيرهما . وصرح بها عباد الكواكب فى عبادتها .

(١) رواه مسلم والحاكم وابن ماجه بالفاظ مختلفة .

قالوا : اذا تعلقـت النفس الناطقة بالأرواح العلوية • فاض عليها منها النور •

وبهذا السر عـبدت الكواكب ، واتخذت لها الهياكل ، وصنفت لها الدعوات ، واتخذت الأصنام المجسدة لها • وهذا بعينه هو الذى أوجب لعباد القبور اتخاذها أعياد ، وتعليق الستور عليها ، وإيقاد السرج عليها ، وبناء المساجد عليها • وهو الذى قصد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إبطاله ومحوه بالكلية ، وسد الذراع المفضية اليه • فوقف المشركون فى طريقه ، وناقضوه فى قصده • وكان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى شق ، وهؤلاء فى شق •

وهذا الذى ذكره هؤلاء المشركون فى زيارة القبور : هو الشفاعة التى ظنوا أن آلهتهم تتفهم بها ، وتتشفع لهم عند الله تعالى •

قالوا : فان العبد اذا تعلقـت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله ، وتوجه بهـمته اليه ، وعكف بقلبه عليه • صار بينه وبينه اتصال • يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله • وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان • فهو شديد التعلق به فما يحصل لذلك من السلطان من الأنعام والأفضال ينال ذلك المتعلق به حسب تعلقه به •

فهذا سر عبادة الأصنام • وهو الذى بعث الله برسله ، وأنزل كتبه بإبطاله ، وتكفير أصحابه ، ولعنهم • وأباح دماءهم وأموالهم ، وسبى ذرارهم • وأوجب لهم النار • والقرآن من أوله الى آخره مملوء من الرد على أهله ، وإبطال مذهبهم •

قال تعالى : « أم اتخذوا من دون الله شفعاء ، قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون (١) • قل لله الشفاعة جميعاً ، له ملك السموات والأرض » (٢) •

فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض ، وهو الله وحده • فهو الذى يشفع بنفسه الى نفسه ، ليرحم عبده • فيأذن هو لمن يشاء أن

يشفع فيه • فصارت الشفاعة فى الحقيقة انها هى له ، والذي يشفع عنده انما يشفع باذنه له وأمره ، بعد شفاعته سبحانه الى نفسه وهى ارادته من نفسه أن يرحم عبده • وهذا ضد الشفاعة الشركية التى أثبتتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم ، وهى التى أبطلها الله سبحانه فى كتابه ، بقوله : « واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة » (١) وقوله : « يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة » (٢) وقال تعالى : « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون » (٣) وقال : « الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع » (٤) •

فأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه ، بل اذا أراد الله سبحانه رحمة عبده اذن هو لمن يشفع فيه • كما قال تعالى : « ما من شفيع الا من بعد اذنه » (٥) وقال : « من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه » (٦) فالشفاعة باذنه ليست شفاعة من دونه ، ولا الشافع شفيع من دونه ، بل شفيع باذنه •

والفرق بين الشفعين ، كالفرق بين الشريك والعبد المأمور •

فالشفاعة التى أبطلها الله : شفاعة الشريك فانه لا شريك له ، والتى أثبتتها : شفاعة العبد المأمور الذى لا يشفع ولا يتقدم بين يدى مالكة حتى يأذن له • ويقول : أشفع فى فلان • ولهذا كان أسعد الناس بشفاعته سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد ، الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه ، وهم الذين ارتضى الله سبحانه •

(١) سورة البقرة — ١٢٣ •

(٢) سورة البقرة ٢٥٤ •

(٣) سورة الانعام ٥١ •

(٤) سورة السجدة ٤ •

(٥) سورة يونس ٣ •

(٦) سورة البقرة ٢٥٥ •

قال تعالى : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى » وقال : « يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا » (١) •

فأخبر أنه لا يحصل يومئذ شفاعة تنفع الا بعد رضا قول المشفوع له ، وأذنه للشافع فيه • فأما المشرك فانه لا يرتضيه ، ولا يرضا قوله • فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه فانه سبحانه علقها بأمرين : رضا عن المشفوع له ، وأذنه للشافع • فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة •

وسر ذلك : أن الأمر كله لله وحده ، فليس لأحد معه من الأمر شيء ، وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده : هم الرسل والملائكة المقربون • وهم عبيد محض ، لا يسبقونه بالقول ، ولا يتقدمون بهن يديه ، ولا يفعلون شيئاً الا بعد أذنه لهم ، وأمرهم • ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً • فهم مملوكون مربوبون ، أفعالهم مقيدة بأمره وأذنه • فاذا أشرك بهم المشرك ، واتخذهم شفعاء من دونه ، ظنا منه أنه اذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله ، فهو من أجهل الناس بحق الرب سبحانه وما يجب له • ويمتنع عليه • فان هذا محال ممتنع ، شبيه بقياس الرب تعالى على الملوك والكبراء ، حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم فى الحوائج •

بهذا القياس الفاسد عبدت الأصنام ، واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولى •

والفرق بينهما هو الفرق بين المخلوق والخالق • والرب والمربوب ، والسيد والعبد • والمالك والمملوك • والغنى والفقر • والذى لا حاجة به الى أحد قط • والمحتاج من كل وجه الى غيره •

فالشفعاء عند المخلوقين : هم شركاؤهم • فان قيام مصالحهم بهم • وهم أعوانهم وأنصارهم ، الذين قيام أمر الملوك والكبراء بهم • ولولاهم لما انبسطت أيديهم وسنتهم فى الناس ، فلحاجتهم اليهم يحتاجون الى قبول شفاعتهم • وان لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع • لأنهم

(١) سورة الأنبياء ٢٨ •

(٢) سورة طه ١٠٩ •

يخافون أن يردوا شفاعتهم • فتنقض طاعتهم لهم ، ويذهبون الى غيرهم • فلا يجدون يدا من قبول شفاعتهم على الكره والرضا • فأما الغنى الذى غناه من لوازم ذاته ، وكل ما سواه فقير اليه بذاته • وكل من السموات والأرض عبيد له ، مقهورون بقهره ، مصرفون بمشيئته • لو أهلكهم جميعا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته والهيته مثقال ذرة •

قال تعالى : « لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا أن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ، والله ملك السموات والأرض وما بينهما ، يخلق ما يشاء ، والله على كل شيء قدير » (١) وقال سبحانه فى سيدة القرآن ، آية الكرسي : « له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه » (٢) وقال : « قل لله الشفاعة جميعا ، له ملك السموات والأرض » (٣) •

فأخبر أن حال ملكه للسموات والأرض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده ، وان أحدا لا يشفع عنده الا باذنه ، فانه ليس بشريك ، بل مملوك محض • بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم عند بعض •

فتبين أن الشفاعة التى نفاها الله سبحانه فى القرآن هى هذه الشفاعة الشركية التى يعرفها الناس ، ويفعلها بعضهم مع بعض • ولهذا يطلق نفيها تارة ، بناء على أنها هى المعروفة المشاهدة عند الناس ، ويقيدها تارة بأنها لا تنفع الا بعد اذنه ، وهذه الشفاعة فى الحقيقية هى منه ، فانه الذى أذن ، والذى قبل ، والذى رضى عن المشفوع ، والذى وفقه لفعل ما يستحق به الشفاعة وقوله •

فمتخذ الشفيع مشرك ، لا تنفعه شفاعته ، ولا يشفع فيه ، ومتخذ الرب وحده آله ومعبوده ومحبوبه ، ومرجوه ، ومخوفه الذى يتقرب اليه وحده ، ويطلب رضاه ، ويتباعد من سخطه هو الذى يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع فيه •

(١) سورة المائدة ١٧ •

(٢) سورة البقرة ٢٥٥ •

(٣) سورة الزمر ٤٣ — ٤٤ •

قال تعالى : « أم اتخذوا من دون الله شفعاء ، قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون (١) » قل لله الشفاعة جميعا (٢) وقال تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون » (٣) .

فبين سبحانه أن المتخذين شفعاء مشركون ، وإن الشفاعة لا تحصل باتخاذهم هم . وإنما تحصل باذنه للشافع ، ورضاه عن المشفوع له .

وسر الفرق بين الشفاعتين : أن شفاعة المخلوق للمخلوق ، وسؤاله للمشفوع عنده ، لا يفتقر فيها الى المشفوع عنده ، لا خلقا ، ولا أمرا ، ولا اذنا ، بل هو سبب محرك له من خارج . كسائر الأسباب التى تحرك الأسباب . وهذا السبب المحرك قد يكون عند المتحرك لأجله ما يوافقه ، كمن يشفع عنده فى أمر يحبه ويرضاه ، وقد يكون عنده ما يخالفه ، كمن يشفع اليه فى أمر يكرهه : ثم قد يكون سؤاله ، وشفاعته أقسوى من المعارض ، فيقبل شفاعة الشافع . وقد يكون المعارض الذى عنده أقوى من شفاعة الشافع ، فيردها ولا يقبلها ، وقد يتعارض عنده الأمران ، فيبقى مترددا بين ذلك المعارض الذى يوجب الرد . وبين الشفاعة التى تقتضى القبول ، فيتوقف الى أن يترجح عنده أحد الأمرين بمرجح . فشفاعة الانسان عند المخلوق مثله : هى سعى فى سبب منفصل عن المشفوع اليه يحركه به ، ولو على كره منه . بمنزلة الشفاعة عنده منزلة من يأمر غيره (٤) . أو يكرهه على الفعل ، أما بقوة وسلطان ، وأما بما يرغبه ، فلا بد أن يحصل للمشفوع اليه من الشافع أما رغبة ينتفع بها ، وأما رهبة منه تندفع عنه بشفاعته . وهذا بخلاف الشفاعة عند الرب سبحانه ، فإنه ما لم يخلق شفاعة الشافع ، ويأذن له فيها ، ويحبها منه ، ويرضى عن الشافع ، لم يمكن أن توجد . والشافع لا يشفع عنده لحاجة الرب اليه ، ولا لرهبته منه ، ولا لرغبته فيها لديه ، وإنما يشفع عنده

(١) سورة الزمر ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) سورة يونس ١٨ .

(٤) فى نسخة : « منزلة من يشفع بأمر غيره » .

مجرد امتثال لأمره وطاعة له • فهو مأمور بالشفاعة ، مطيع بامتثال الأمر • فان أحدا من الأنبياء والملائكة ، وجميع المخلوقات لا يتحرك بشفاعة ولا غيرها الا بمشيئة الله تعالى ، وخلقه • فالرب سبحانه وتعالى هو الذى يحرك الشافع حتى يشفع ، والشافع عند المخلوق هو الذى يحرك المشفوع اليه حتى يقبل • والشافع عند المخلوق مستغن عنه فى أكثر أموره • وهو فى الحقيقة شريكه • ولو كان مملوكه وعبيده • فالشفيع عنده محتاج اليه فيما يناله منه من النفع بالنصر ، والمعاونة • وغير ذلك • كما أن الشافع محتاج اليه فيما يناله منه من رزق ، أو غيره ، فكل منهما محتاج الى الآخر •

ومن وفقه الله تعالى لفهم هذا الموضع ومعرفته ، تبين له حقيقة التوحيد والشرك ، والفرق بين ما أثبتته الله تعالى من الشفاعة وبين ما نفاه وأبطله ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور •



النهى عن زيارة المقابر ثم الأمر بزيارتها

ولقد نهى رسول الله ﷺ الناس عن زيارة المقابر ثم أمرهم بزيارتها ويرجع ذلك لعدم التزامهم بآداب الزيارة ولأنهم كانوا يقولون هجرا (أى كلاما محظورا شرعا) •

وذلك لأن عقيدة التوحيد لم تكن قد تمكنت من قلوبهم بعد فلما علمهم رسول الله ﷺ مايقولونه عند زيارتهم للمقابر • وعلم أنهم عقلوا ما قيل لهم — أمرهم بزيارتها مرة أخرى والدليل :

١ — روى الامام أحمد فى السنن : عن طريق على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (اننى كنت نهيتكم عن زيارة القبور • فزوروا القبور • فانها ترهد فى الدنيا وتذكر الآخرة) •

٢ — روى الامام أحمد فى السنن أيضا عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (كنت نهيتكم عن زيارة القبور • فزورها فان فيها عبرة) •

٣ — عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : ان رسول الله ﷺ قال : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فانها ترهد فى الدنيا وتذكر الآخرة) رواه ابن ماجه فى السنن •

٤ — وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (زار النبى ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربى أن أستغفر لها • فلم يأذن لى واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى فزوروا القبور فانها تذكر الموت) •

٥ — روى فى سنن الترمذى عن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فقد أذن لمحمد ﷺ فى زيارة قبر أمه • فزوروها فانها تذكر الآخرة) •

فهذه بعض الأحاديث والتى رويت من طرق مختلفة تدل على أن زيارة المقابر مشروعة لمن يلتزم بآداب الزيارة وهى الدعاء للأموات والاعتاظ من تذكر الموت وغير مشروعة لمن لم يلتزم بهذه الآداب وأنه

ليتبادر الى أذهاننا الآن سؤال الى القبوريين وهو : اذا كنتم حقا ترورون
هذه الأضرحة حبا في أصحابها وترحما عليهم لسيرتهم الحسنة فهل
ما تحدثونه حولهم من شطح ونطح وصراخ وعويك • اثبات لحبكم
ايهاهم ؟

وهل لو كان واحدا منهم — ممن عرف بالصلاح — بيننا اليوم
وشاهد ما تحدثونه حوله أكان يقره ؟

* * *

النهي عن اتخاذ المقابر أعيادا

وقد نهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ المقابر أعيادا ولعن من يفعل ذلك أى لا تخصص بعض المقابر للزيارة والمجيء اليها فى أوقات معينة والاحتفال بأصحابها وهو ما عرف بين الناس (بالموالد) وكان أول قبر نهى الرسول ﷺ عن اتخاذ عيدا هو قبره ﷺ . والدليل ما رواه أبو داود فى سننه حيث قال حدثنا أحمد بن صالح قال : قهرأت على عبد الله بن نافع أخبرنى ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (لا تجعلوا بيوتكم قبورا • ولا تجعلوا قبرى عيدا • وصلوا على فان صلاتكم على تبغنى حيث كنتم) •

ففى هذا الحديث يبدأ الرسول ﷺ بقوله « لا تجعلوا بيوتكم قبورا » وهذا القول يحمل أمرين فالأمر الأول هو : أن الرسول ﷺ يحذر الناس من أن يجعلوا بيوتهم قبورا وكأنه يقول صلوا فى بيوتكم ولا تجعلوها كالقبور التى لا يصل على عندها وفى ذلك دليل آخر على أنه لا تجوز الصلاة فى القبور • أما الأمر الثانى وهو أن الرسول ﷺ يقصد بالصلاة هنا الصلاة النافلة اذ لا يصح بأى حال من الأحوال ترك صلاة الجماعة الا لعذر مقبول شرعا ولنعلم من هذا الحديث أيضا أنه من السنة صلاة النافلة فى البيت والمكتوبة فى المسجد •

أما قوله ولا تجعلوا قبرى عيدا ففيه تحذير شديد للناس من أن يتخذوا قبره خصيصا للزيارة ويتحروا الدعاء عنده أو يجعلوا لقبره يوما معلوما يأتونه فيه •

أما قوله وصلوا على فان صلاتكم تبغنى حيث كنتم فمعناه • صلوا على وأنتم فى أماكنكم فان صلاتكم على تبغنى سواء كنتم عند قبرى أو بعيدا عنه • فلا حاجة لى بكم لاتخاذ عيد • وأجد هنا سؤالا أيضا يطرح نفسه وهو : اذا كان اتخاذ المقبرة عيد والاحتفال بأصحابها من شرعتنا الغراء • أما كان قبر الرسول ﷺ أولى بالاحتفال من أصحاب تلك الأضرحة ؟ •

وقال أبى يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة
حدثنا زيد بن حباب حدثنا جعفر بن ابراهيم من ولد ذى الجناحين •
حدثنا على بن عمر عن أبيه عن على بن الحسين (أنه رأى رجلا يجىء الى
فرجه عند قبر النبى ﷺ • فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال : ألا أحدثكم
حديثا سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله ﷺ قال : لا تتخذوا
قبرى عيدا ولا بيتوكم قبورا فان تسليمكم يبلغنى حيث ما كنتم) رواه
ابن عبد الله بن عبد الواحد المقدسى فى مختاراته •

وقال سعيد أيضا حدثنا عبد العزيز بن محمد أخبرنا سهيل بن أبى
سهل قال : رأى الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب عند القبر
فنادانى وهو فى بيت فاطمة يتعشى فقال : هلم الى العشاء فقلت لا أريده
فقال : مالى رأيك عند القبر فقلت سلمت على رسول الله ﷺ فقال :
إذا دخلت المسجد فسلم ثم قال : ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
واله وسلم قال (لا تتخذوا بيتى عيدا ولا بيوتكم مقابر لعن الله اليهود
والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وصلوا على فان صلاتكم
تبلغنى حيثما كنتم ما أنتم ومن بالاندلس الا سواء) أى أن الذى يصلى
على وهو أمام قبرى كالذى يصلى على وهو بالاندلس الكل سواء •

قال شيخ الاسلام الامام بن تيمية رحمه الله ونور الله قبره
تعليقا على هذا الحديث « فأنظر الى هذه السنة وكيف مخرجها من أهل
البيت » الذين لهم من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرب
النسب وقرب الدار لأنهم الى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا له أضبط •

وقال الامام بن القيم أيضا معلقا على حديث الامام على بن
الحسين : وهذا أفضل التابعين من أهل بيته على بن الحسين رضى الله
عنهما • نهى ذلك الرجل أن يتحرى الدعاء عند قبره ﷺ واستدل
بالحديث • وهو الذى رواه وسمعه من أبيه الحسين عن جده على رضى
الله عنه وهو أعلم بمعناه من هؤلاء الضلال •

وكذلك بن عمه الحسين شيخ أهل بيته كره أن يقصد الرجل القبر
إذا لم يكن يريد المسجد ورأى أن ذلك من اتخاذ عيدا •
كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فى هذا الباب مانعه :

(ولهذا كره مالك رضى الله عنه وغيره من أهل العلم لأهل المدينة كلما دخل أحدهم المسجد أن يجيئ فيسلم على قبر النبي ﷺ وصاحبيه . قال : وانما يكون ذلك لأحدهم اذا قدم من سفر أو أراد السفر ونحو ذلك . ثم قال : ما علمت أحدا رخص فيه (١) (أى فى زيارة القبر) لأن ذلك نوع من اتخاذ عيد ويدل أيضا على أن قصد القبر للسلام اذا دخل المسجد ليصلى منهى عنه لأن ذلك لم يشرع وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل الانسان المسجد أن يأتى قبر النبي ﷺ ، لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك قال : « ولن يصلح آخر هذه الأمة الا ما أصلح أولها » وكان الصحابة والتابعون رضى الله عنهم يأتون الى مسجد النبي ﷺ فيصلون فاذا قضاوا الصلاة قعدوا وخرجوا ، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه فى الصلاة أكمل وأفضل ، وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام هناك أو الصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم ، بل نهاهم عنه فى قوله « لاتتخذوا قبرى عيدا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى » .

فبين أن الصلاة تصل اليه من بعد وذلك السلام ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد وكانت الحجرة فى زمانهم يدخل اليها من الباب اذ كانت عائشة رضى الله عنها فيها ، وبعد ذلك الى أن بنى الحائط الآخر ، وهم مع ذلك التمكن من الوصول الى قبره لايدخلون عليه لا للسلام ولا للصلاة ولا للدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم ، ولا لسؤال أو علم ، ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاما أو سلاما فيظنون أنه كلمهم واقتادهم ، وبين لهم الأحاديث ، أو أنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج القبر كما طمع الشيطان فى غيرهم عند قبره ، حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم ويفتيهم ويحدثهم فى الظاهر وانه يخرج من القبر ويروونه خارجا من القبر ، ويظنون أن نفس أبدان الموتى

(١) هذا القول كقول الامام مالك — ان كره (كلما) دخل الانسان المسجد أن يأتى قبر النبي ﷺ والمراد اتباع السلف فيها كانوا عليه — وليس مراد الامام مالك وشيخ الإسلام — تحريم الزيارة نهائيا — فهذا أبعد مايفهم من مقولة كل منهما . ومما يؤكد ذلك أنها رضى الله عنهما قالا من قبل بجواز الزيارة بعد أن يخفى الزائر شبهة شد الرحال — واعتياد الزيارة فى اوقات معينة — أو حدوث البدع والمنكرات عند القبر .

خرجت تكلمهم وأن روح الميت تجسدت لهم فأروها كما رآهم النبي ﷺ ليلة الاسراء والمعراج أ . ه .

وأیضا قال الامام القرطبی فی ذلك : ولهذا بالغ المسلمون فی سد الزریعة فی قبر النبي ﷺ . ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبله اذا كان مستقبل المصلين فتصور الصلاة اليه بصورة العبادة فبنوا جدارين من ركنی القبر الشمالي وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استنقبان قبره .

أما ما اشتهر على ألسنة القبوریین من أحادیث نسیوها زورا وبهتانا الى رسول الله ﷺ فی مسألة الحث على زیارة قبره وان فی زیارة منفعة للزائر .

منها على سبیل المثال :

- ١ — من حج ولم یزرني فقد جفانی (١) .
 - ٢ — من زارني بعد مماتي فكأنما زارني فی حیاتي (٢) .
 - ٣ — من حج وزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني فی حیاتي (٣) .
 - ٤ — من زارني وزار أبي ابراهيم فی عام واحد ضمنت له الجنة (٤) .
 - ٥ — من زار قبري وجبت له شفاعتي (٥) .
 - ٦ — من زارني ميتا فكأنما زارني حيا ، ومن زارني حيا وجبت (٦) له شفاعتي .
 - ٧ — ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة (٧) .
- فقد حقق علماء السلف الصالح فی هذه الأحادیث وقالوا انها من

(١) رواه بن عدی والدارقطنی فی الملل وبن حبان فی الضعفاء والخطيب فی رواية مالك بسند ضعيف .

(٢) رواه الدارقطنی بلفظ « من زارني بعد موتي فكأنما زارني فی حیاتي » وفي سنده مجهول .

(٣) قال بن الجوزی انه موضوع .

(٤) لم أقف على تخريج هذا الحديث وينظر فيما قاله الحافظ بن حجر والحافظ بن لاعملى من انه لا یصح فی هذا الباب شيء .

(٥) زواه بن خزيمة وابن أبي الدنيا وفيه عبد الله بن عمر العمري . قال أبو حاتم مجهول وفيه موسى بن هلال البصري قال العقول لا یصح حديثه .

(٦) قال بن تيمية لا أصل له وقال الامام الشوكاني موضوع .

(٧) والصحيح هو « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » رواه البخاری .

الموضوعات ولا يصح منها شيء حيث قال الحافظ بن حجر فى التلخيص بعدما ذكر أكثر هذه الروايات •

طرق هذه الأحاديث كلها ضعيفة وقال الحافظ بن العقيلى : لا يصح فى هذا الباب شيء •

وجزم شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ونور الله قبره • أن هذه الأحاديث كلها موضوعه • ولو كان شيء منها ثابتا لكان الصحابة رضى الله عنهم أسبق الناس للعمل به وبيان ذلك للأمة والدعوة اليه لأنهم خير الناس بعد الأنبياء وأعلم بحدود الله وبما شرعه لعباده • وأنفعهم لله ولخلقه • فلما لم ينقل عنهم شيء من ذلك دل ذلك على أنه غير مشروع •

وخلاصة ما سبق ذكره أنه لا ينبغي لأحد أن يتعمد قبر الرسول ﷺ لمجرد الصلاة والسلام عليه فقط • أو الدعاء عند قبره (معتقدا أن مجيئه الى القبر أفضل) لأن ذلك لم يشرعه لهم الرسول ﷺ ولم يعلم أن أحدا من الصحابة رضوان الله عليهم فعل ذلك والذين هم أحب وأقرب الناس الى رسول الله ﷺ ولم يصرح أحد من الأئمة الأربعة بذلك (١) •

وهذا هو الامام مالك رحمه الله عندما سئل عن رجل نذر أن يأتى قبر النبي ﷺ قال : ان كان يريد المسجد فليأته وليصل فيه وان كان أراد القبر فلا يأت به •

(١) قال الامام مالك فى البسوط لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ ولكن يسلم ويمضى وقال الامام أحمد فى ذلك أنه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستديره • أما بالنسبة للدعاء عند قبره صلى الله عليه وسلم • فقد اتفق الأئمة على أنه لا يجوز أن يستقبل القبر عند الدعاء • واختلفوا أن يستقبلوه عند السلام أم لا ؟

والظاهرة أنه يجوز استقبال القبر عند السلام ولا شيء فى ذلك • لان على القائل بعدم الجواز ان يأتى بالدليل على ذلك فان لم يكن معه دليل حملت المسألة على الجواز (لان الاصل فى الشيء الاباحة الا بنص) بشرط عدم مس القبر بالأيدي أو تقبيله وما الى ذلك من عادات الجاهل باداب الزيارة • وقد يكون ذلك مراد من قالوا بعدم الجواز من باب سد الذريعة اذ ربما رأوا فى زمانهم ان استقبال القبر عند السلام مصحوبا بالنكوات او رأوا ان هذا قد يؤدى الى حدوث البدع والمنكرات اثناء الزيارة كما هو الحال اليوم لكثير من الذين يزورون قبره ﷺ وخاصة فى موسم الحج • فلو رأيت تهافتهم وتزاحمهم حول القبر للسه أو تقبيله لظننت انهم يتحصلون على تأثيرات لدخول الجنة ووالله ما أمروا بذلك واعتقد ان الأئمة لو رأوا ما يفعل الآن عند قبر الرسول ﷺ من قبل الزوار وخاصة فى موسم الحج لانتقوا جيمعا على ان الزيارة بهذا الشكل المخيف حرام الا لمن رحم ربك ويلتزم باداب الزيارة كما هو مشروع •

ولذلك قال الامام مالك ان أراد المسجد فليأتها عملاً
قال فيه : « من نذر أن يطعم الله فليطيعه ، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصيه
والنذر لاتيان قبر النبي ﷺ نذر معصية اذ أنه مخالف للحديث الصحيح
والقائل — بعدم شد الرحال لغير المساجد الثلاثة كما تقدم . »

ولذلك قال الامام مالك ان كان أراد المسجد فليأتها عملاً
أيضاً بجواز شد الرحال الى مسجد الرسول ﷺ كما في الحديث
والله أعلم .

وروى عن الامام مالك أيضاً أنه كره أن يقول الرجل (زرت قبر النبي
ﷺ) كأنه يقول ان قبر الرسول ﷺ لا يتخذ للزيارة — الا اذا كان
الزائر في مسجده ﷺ سدا للزريعة — اللاهم ان كان ابن عمر رضى الله
عنهما هو وحده الذى كان اذا قدم من سفر — أتى قبر النبي ﷺ ويقول
السلام عليك يا رسول الله — السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه
ثم ينصرف .

قال عبيد الله راوى الحديث — ما نعلم أحد من أصحاب النبي ﷺ
فعل ذلك الا ابن عمر .

وفى هذه الرواية ثلاث مسائل هي :

١ — ان زيارة بن عمر رضى الله عنهما لم يكن فيها شد الرحال ولكن
هي ضمن الزيارة الشرعية وذلك لأنه كان من المدينة . والزائر للقبر ان
كان من المدينة لم يكن بذلك قد شد الرحال لأنه من نفس البلد التى بها
القبر .

٢ — أنه لم يدعو عند قبر الرسول ﷺ بعد أن سلم عليه لعلمه بأن
ذلك قد نهى عنه .

٣ — أنه لم ينقل عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أنه فعل
مثل ما فعل ابن عمر — سدا للزريعة أمام المسلمين . ولعلمهم بأن الذى
يصلى ويسلم على رسول الله ﷺ عند قبره ليس له أفضلية عن الذى
يصلى ويسلم عليه وهو بعيد عن القبر — لما في الحديث (وصلوا على

حيث كنتم — فان صلاتكم تبغلى — ما أنتم ومن بالأندلس الا سواء)
فكانوا لهذا الهدى أضبط . ولو علم أن غير ابن عمر فعل ذلك لم يكن في ذلك
شبهة لأننا ذكرنا من قبل أنه ليس على الزائر ان كان من المدينة أى حرج
فى زيارة قبر الرسول ﷺ هذا بعد أن يتحرى المجيء الى القبر فى
أوقات معينة •

وخلاصة القول أنه اذا كان هذا الحال فى زيارة قبر الرسول ﷺ
أشرف وأطهر الخلق والصلاة والسلام عليه والدعاء عند قبره • فماذا
نقول لهؤلاء الذين لغوا عقولهم واتخذوا من الأضرحة قبلة ومن الطواف
حولها سنة ومن العكوف حولها شرعة ؟ •

النذر للأضرحة

وياليت الأمر وقف بهؤلاء عند هذا الحد فحسب • الا أن هؤلاء جعلوا من أموالهم حقا معلوما (للميت) وليس للسائل والمحروم • فتراهم يقطعون مئآت الأميال خصيصا لوضع (المعلوم) فى صندوق النذور • راجين أن يتقبل منهم (الميت المقبور) فيحدث لهم الفرح والسرور • ولولا اعتقادهم فى أن هذا النذر الذى وضعوه فى صندوق النذور سينفعهم فى الدنيا والآخرة ما وضعوه • لأن مامن رجل يبذل ماله شئ الا وهو معتقد أن ما بذله سيعود عليه بالنفع • والا لماذا يبذل ماله ؟ والحقيقة أن مثل هذا النذر تضييع للمال وليس للناذر بهذه الطريقة أى أجر على ما نذر اذ لو كان يريد التصدق حقا لكان أولى به أن يتحرى ذوى القربى واليتامى والمساكين وكل من له حق فى الصدقة • حتى يفوز بالأجر ويسعد برضاء الله سبحانه وتعالى وان كان القابض للنذر أيضا حرام عليه ما قبضه • لأنه أخذ مال الناذر بغير حق وليس فى مقابلة شئ • أى أخذه بالباطل •

وفى هذا دليل آخر على أن الناذر يضيع ماله بغير حق • اذ أنه يضع ماله فى أيدي من لا يستحقه • وحتى نقف على الحقيقة فى هذا الأمر • فالى ما أثر عن رسول الله ﷺ فيما يتعلق بالنذور •

١ — عن ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : أولم ينهوا عن النذر ؟ ان النبى ﷺ قال : (ان النذر لا يقدم شئ ولا يؤخر • وانما يستخرج من البخيل) رواه البخارى •

٢ — وروى أيضا عن عائشة رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : (من نذر أن يطع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه • فلا يعصيه) رواه البخارى •

فهذان حديثان صحيحان عن الامام البخارى (رضى الله عنه) • يدل الأول على أن النذر لا يقدم ولا يؤخر وانما يستخرج من البخيل • ويدل الثانى على أن النذر لاطاعة الله • وليس لمعصيته • فاذا كان النذر

فى حالاته الطبيعية لا يقدم ولا يؤخر شيئاً فكيف بهذا النذر المشبوه
والذى يقصد به غير وجه الله وهو ما عليه القبورين الآن •

٣ — وعن طارق بن شهاب رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ

قال :

(دخل الجنة رجل فى ذباب • ودخل النار رجل فى ذباب — قالوا :
كيف ذلك يارسول الله قال : مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجـوزـه
أحد حتى يقرب له شئ • فقالوا لأحدهما : قرب • فقال ليس عندى
شئ أقرب • فقالوا له : قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل
النار — وقالوا للآخر قرب قال ماكنت لأقرب لأحد شيئاً من دون الله •
فضربوا عنقه فدخل الجنة) رواه الامام أحمد •

فانظر ياأخى المسلم الى هذا الحديث القيم وانظر الى أى مدى
يكون النذر لغير الله محرماً بل ويوجب دخول النار • وانظر الى أى
مدى كان الآخر متمسك على أن لايقرب شئ وذلك لخطورة ما وقع فيه
صاحبه • بل فضل أن يقتل فى سبيل الله على أن لا يوافقهم على
ما يدعونه اليه •

وليعلم أيضاً أن الذى دخل النار لكونه قرب ذباباً • كان مسلماً اذا
لو لم يكن مسلم ماكان هناك داعى لأن يقول رسول الله ﷺ (فدخل
النار) •

وليعلم أيضاً أنه لا فرق بين من يقرب نذراً لصنم ومن يقرب نذراً
لضريح من الأضرحة •

لأن عمل القلوب واحد وهو : النذر لغير الله ، ومادام عمل القلوب
واحد فالمصير واحد أيضاً •

(هذا فى حالة اصرار المسلم على هذه المعصية الا أن يتوب منها) •

فاذا كانت النار قد وجبت على من ينذر لغير الله شيئاً — ولو كان
هذا الشئ مجرد ذباباً فكيف بمن يقربون الأبقار والأغنام
والأموال لغير الله أيضاً ؟

قال : الشيخ قاسم الحنفى فى شرح درر البحار :

النذر الذى ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد كأن يكون للانسان غائب أو مريض أو له حاجة ، فيأتى الى بعض الصلحاء ويجعل على رأسه ستره ويقول ياسيدى فلان ، ان رد الله غائبى أو عوفى مريضى أو قضيت حاجتى لك من الذهب كذا أو الطعام كذا أو من الماء كذا أو من القمح والزيت كذا فهذا النذر باطل بالاجماع لوجوه منها : أنه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لايجوز لأنه عباده والعبادة لا تكون لمخلوق ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف فى الأمور دون الله واعتقاد ذلك كفر الى أن قال : اذ علمت هذا • فما يأخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل الى ضرائح الأولياء تقربا اليها ، فحرام باجماع المسلمين •

• النبح للأضرحة •

وهكذا الحال أيضا لمن يأتون بالنحائر أمام الأضرحة • فاذا مارأيت القبورى من هؤلاء يجز وراءه ماقصدة للنحر • بل تراه يصرح بلا خجل ان ماقصده للنحر انما هو — لسيده فلان — وهذا مما لاشك فيه شرك بين ومخالفة لما جاء به كتاب الله من آيات بينات • والدليل قول الله تعالى : (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعيمهم وهذا لشركائنا) •

ويقول تعالى أيضا : (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم فتالله لتتسئلن عما كنتم تفترون) •

ويقول تعالى : (فصلى لربك وانحر) •

ويقول تعالى : (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين • لا شريك له) •

وربما يقول آخر انى أقصد بالذبح هنا أهل الله وهو لا يدري أنه يفر من الحقيقة التى يخفيها بداخله • لأنه لو قصد أهل الله حقا بما نحر • لما قصد القبر وذبح عنده وذلك بعد أن تحمّل أعباء السفر ومشقته • هذا بخلاف وجود أهل الله فى كل مكان وليس عند ضريح الميت فحسب •

وان كان من يقول ذلك يخفى وراءه عقيدة فاسدة ألا انها لا تخفى على من شم رائحة العلم • ولولا اعتقاده بأن مانحره أمام الضريح أنفع له من أن ينحر فى أى مكان آخر ماكان له أن ينحر • وليعلم أن رسول الله ﷺ نهى الناس أن يتحروا من تلك الأماكن لينحروا عندها •

والدليل :

١ — عن عمر بن سعيد عن أبيه عن جده أن امرأة قالت يا رسول الله انى نذرت أن أنحر بمكان كذا وكذا مكان يذبح فيه أهل الجاهلية قال

لصنم ؟ قالت لا . قال لوثن ؟ قالت : لا قال أوفى بنذرك رواه أبو داوود .
 ٢ — عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال : نذر رجل أن ينحر
 ابل ببوانه فسئل الرسول ﷺ فقال : هل كان فيها وثن من أوثنان
 الجاهلية يعبد ؟ قالوا : لا قال : فهل كان فيها عيدا من أعيادهم ؟ فقال :
 لا فقال الرسول ﷺ : أو فى بنذرك فانه لاوفاء للنذر فى معصية الله ولا
 فيما يملك ابن آدم) رواه أبو داوود .

فانظر رحمك الله الى الرسول ﷺ وهو يبعد كل شبهات الشرك
 والتردى فى عادات الجاهلية . فبرغم أن الرجل ماكان سيذبح ،
 الا الله . لم يرخص له الرسول ﷺ فى أن يذبح الا بعد أن تأكد من أن
 المكان الذى سيذبح فيه كان خاليا أيضا من أفعال المشركين .

واعتقد أنه بعد هذا الهدى المنير — علمنا حقيقة هؤلاء الذين
 يأتون بذبائهم عند الأضرحة قائلين ان هذه الذبائح — لأسيادنا !

٣ — روى الامام على رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ
 بأربع كلمات : (لعن الله من ذبح لغير الله . لعن الله من لعن والديه .
 لعن الله من آوى محدثا . لعن الله من غير منار الأرض) رواه مسلم .

وهذا الحديث يبين أيضا أن من ذبح لغير الله فهو ملعون من الله
 ورسوله ﷺ كالذى يقول هذا لسيدى فلان وهذا لسيدى فلان — أما
 قوله لعن الله من لعن والديه — أى يسب الرجل والذى الآخر فيسب
 الآخر والديه . فيكون الأول بذلك لعن والديه أما قوله — لعن الله من
 آوى محدثا — أى لعن الله من يستتر رجل أحدث أمرا فيه حق لله أو فيه
 حق للعباد . أما قوله ، لعن الله من غير منار الأرض — فمعناه الذى
 يضيع الحدود بين الجار وجاره فيضم الرجل جزء من أرض جاره الى
 أرضه بتغيير الحد الذى يفصل بينهما .

النهي عن الذبح عند القبور عامة والدليل—ل مارواه أبو داود في

السنن عن الرسول ﷺ أنه قال « غفر في الاسلام » •

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب — اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم — وأما الذبح هناك فمنهي عنه مطلقا ذكره أصحابنا — يقصد الحنابلة — وغيرهم لهذا الحديث وقال أحمد في هذا الحديث « لا عقر في الاسلام كانوا اذا مات لهم الميت نحروا جذورا على قبره فمنهي النبي ﷺ عن ذلك وكره أبو عبد الله أكل لحمه •

قال أصحابنا : وفي معنى هذا ما يفعله كثير من أهل زماننا في التصديق عند القبر بخبز أو نحوه •

أصنام فارغة — وأحجار تعبد

وبعد كشف القناع عن معتقدات القبوريين الفاسدة من ناحية اتخاذهم القبور مساجد أو اتخاذ المساجد قبور — واحتفالهم بأموات هذه القبور — واعتقادهم الفاسد بأن أموات هذه القبور يملكون كشف البليات والعاهات ، والنذر والذبح لهم وبعد أن بينا بتوفيق الله هدى الرسول ﷺ وما أثر من أفعال الصحابة رضى الله عنهم أجمعين وأقوالهم فى المسائل التى تعرضنا لها سابقا وكذلك ما أثر من أقوال علماء الأمة كان لابد قبل أن نختتم هذه الرسالة أن نذكر أيضا تحقيقا حول ما يدعيه البعض من أن رأس الحسين قد دفنت بالقاهرة وأن هذا المقام المسمى باسمه هو مكان دفن الرأس — وكذلك أيضا بالنسبة لما يقال بأن السيدة زينب بنت الامام على رضى الله عنهما قد دفنت بمصر وان هذا المقام لها بالقاهرة هو مكان دفنها — وكذلك أيضا كشف الحقيقة بالنسبة لبعض الأضرحة الأخرى حيث يدعى البعض من العامة أن بها أولياء يرجع نسبهم الى الرسول ﷺ مثل — خميس — ساكن شبين الكوم ، شبل — ساكن الشهداء وغيرهم من أصحاب المقامات الفارغة • ولنبدأ أولا بالأكذوبة الكبرى وهى الأكذوبة القائلة بأن رأس الحسين رضى الله عنه بالقاهرة •

حيث يقال ان الرأس انتقلت من دمشق الى عسقلان — فلما استولى الأفرنج على عسقلان فى الحروب الصليبية — انتقلت الرأس الشريفة بعد ذلك الى القاهرة بواسطة ابن روزيك والذى دفع ثلاثين ألف درهم مقابل نقلها الى القاهرة • حيث دفنت بهذا المشهد المسمى بمشهد الامام الحسين ! وردا على هذا الزعم الباطل فانى أذكر هنا ما قاله الامام القرطبى فى هذه المسألة •

قال الامام رحمه الله فى التذكرة :

(... واختلف الناس فى موضع الرأس المكرم وأين حمل من البلاد ؟ فذكر الحافظ أبو العلا الهمذانى أن يزيد حين قدم عليه رأس الحسين بعث به الى المدينة فأقدم اليه عدة من موالى ابن هاشم وضم

اليهم عدة من موالى أبى سفيان ثم بعث بنقل الحسين ومن بقى معه من أهله معهم وجهزهم بكل شيء • ولم يدع لهم حاجة بالمدينة الا أمر لهم بها وبعث برأس الحسين عليه السلام الى عمرو بن سعيد العاص وهو اذ ذاك عامله على المدينة فقال عمرو — ودذت أنه لم يبعث به الى • ثم أمر عمرو بن سعيد بن العاص — برأس الحسين عليه السلام فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه فاطمة عليهما الصلاة والسلام (هذا أصح ما قيل فى ذلك) ولذلك قال الزبير من بكار : ان الرأس حمل الى المدينة والذبير أعلم أهل النسب وأفضل العلماء لهذا السبب حدثنى بذلك مذهب ابن حسن المخزومى النسابة • والامامية تقول : ان الرأس أعيد الى الحبشة بكرلاء بعد أربعين يوما من القتل وهو يوم معروف عندهم يسمون الزيارة فيه — زيارة الأربعين — (وما ذكر أنه فى عسقلان فى مشهد هناك — أو بالقاهرة فثبته باطل لا يصح ولا يثبت) ا — ه •

وكذلك أيضا فقد وجهه سؤال الى الامام ابن تيميه رحمه الله عما اذا كانت الرأس قد دفنت بهذا المشهد القاهرى أم لا ؟ فكان مما قاله الامام :

وما زال الناس فى مصنفاتهم ومخاطباتهم يعلمون أن هذا المشهد القاهرى من المكذوبات المختلقات • ويذكرون ذلك فى المصنفات حتى من سكن هذا البلد من العلماء بذلك فقد ذكره أبو الخطاب بن دحية فى كتاب — العلم المشهور — فى هذا المشهد فضلا عما ذكره فى مقتل الحسين من أخبار ثابتة وغير ثابتة ومع هذا فقد ذكر أن المشهد كذب بالاجماع • وبين أنه نقل من عسقلان فى آخر الدولة العبيدية، وأنه وضع لأغراض فاسدة • وأنه بعد ذلك بقليل أزال تلك الدولة وما فيها بنقيض قصدها • ومازال ذلك مشهورا بين أهل عصرنا من ساكنى الديار المصرية • القاهرة وما حولها •

لقد حدثنى طائفة من الثقات عن الشيخ أبى عبد الله محمد بن على القشيرى المعروف بابن دغير العبد ، وطائفة عن الشيخ أبى محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى • وطائفة عن الشيخ أبى محمد بن القسطلانى • وطائفة عن الشيخ أبى عبد الله القرطبى ، صاحب التفسير وشرح أسماء

الله الحسنى ، وطائفة عن الشيخ عبد العزيز الدرينى • كل من هؤلاء حدثنى عن من لا اتهمه ، وحدثنى عن بعضهم عدد كثير • كل يحدثنى عن من حدثه من هؤلاء • انه كان ينكر أمر هذا المشهد ويقول : انه كذب ، وليس فيه الحسين ولا رأسه • والذين حدثونى عن ابن القسطلانى ذكروا عنه أنه قال : ان فيه نصرانيا ! بل ان القرطبى والقسطلانى ذكرا بطلان هذا المشهد فى مصنفاتهما • وبيننا فيها أنه كذب كما ذكره ابن الخطاب بن دحيه • وابن دحيه هو الذى بنى له الكامل دار الحديث الكاملية وعنه أخذ أبو عمر وابن الصلاح ونحوه كثيرا مما أخذوه من ضغط الأسماء واللغات ، وليس الاعتماد فى هذا على واحد بعينه • بل هذا اجماع من هؤلاء •

ومعلوم أنه لم يكن بهذه البلاد من يعتمد فى مثل هذا أعلم وأدين من هؤلاء ونحوهم فاذا كانوا متفقين على أن هذا كذب ومين علم أن الله قد برأ منه الحسين ، وحدثنى من الثقات • أن من هؤلاء من كان يوصى أصحابه بأن لا يظهروا ذلك عنه ! ، خوفا من شر العامة بهذه البلاد ، لما فيهم من الظلم والفساد واذا كانوا فى الأصل رعية للمقراطية الباطنيين • هذا جزء مما قاله الامام ابن تيمية شيخ الاسلام رحمه الله ونور الله قبره نكتفى بذكره لما فيه الكفاية لبيان الحقيقة •

أما بالنسبة لما يقال من أن السيدة زينب بنت الامام على رضى الله عنهما جاءت الى مصر وان هذا المقام المسمى باسمها انما هو مكان دفنها فهو قول قد بنى على الوهم والخيال • فهاهو الامام الطبرى شيخ المفسرين والمؤرخين فى نفس الوقت لم يذكر رحيل السيدة زينب الى مصر فى تاريخه المشهور كذلك أيضا بالنسبة لغيره من العلماء والمؤرخين فان ابن حجر رغم أنه تعرض لسيرة السيدة زينب فى كتابه نجد أنه لم يذكر أنها رحلت الى مصر ودفنت بها •

أما على مبارك فيقول فى الجزء الخامس من مؤلفه (الخطط التوفيقية) •

« لم أرى فى كتب التاريخ أن السيدة زينب بنت على رضى الله عنهما جاءت الى مصر فى الحياة أو بعد الممات » •

أما المحقق والمؤرخ أحمد زكى باشا فيقول :

« الذى يشهد به العارفون بالحق الصريح هو أن السيدة زينب بنت الامام على وأخت الامام الحسين لم تشرف أرض مصر بوطىء قدمها المباركة » مطلقا .. مطلقا .. مطلقا — والحق الذى ليس بعده الا الضلال أنها قضت بقية حياتها بالحجاز ، الى أن انتقلت الى جوار ربها بالمدينة المنورة — فكان دفنها بالبقيع — هذا هو الصواب وماعداه فافك وبهتان « ا . ه . » .

ويبين أحمد زكى أيضا كيف يعتقد بعض السذج أن السيدة زينب رضى الله عنها هى صاحبة هذا المقام المسمى باسمها فيقول :

« ان هذا الضريح لم يكن له وجود ولا ذكر فى عصور التاريخ الاسلامى الى ما قبل محمد على بسنوات معدودة حين وفد الى القاهرة أحد الاغوات يدعى عثمان كتخذا « فاغتنى بمصر وأحرز ثروة طائلة وكان طيب السيرة فوسوس له بعض المشايخ أن يبنى له جامعا على ضريح فى تلك البقعة ولا أدرى كيف وضعوه لامرأة تسمى زينب .. ثم تسلمت الأكاذيب فجعلوها زينب بنت الامام على رضى الله عنهما . ثم يقول من أكذب الكذب وفي منتهى الافك والبهتان أن يقول انسان يحترم الحق — ويحترم عقل نفسه . ان السيدة زينب بنت الامام على قد اختارت الإقامة بديار مصر أو أن يزعم بأنها هى المدفونة بالقاهرة ا . ه . ه . وبعد هذا البيان الفاصل من قبل علماء الاسلام المشهود لهم بسلامة العقيدة وحسن السيرة والجدية فى النقل عن مشائخهم أسأل الله أن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق !

صور حية من حياة القبورين

— ١ —

شبل — ابن من ؟

فى مدينة الشهداء ضريح مقام داخل مسجد يسمى بمسجد سيدهم شبل ويزعم البعض أن هذا الضريح به جسد (شبل) بن الفضل بن العباس عم الرسول ﷺ ويزعمون أن المدينة سميت بالشهداء نتيجة للمعركة التى نشبت بين محمد شبل قائد الجيش العربى — وبين قوات الجيش الرومانى سنة ٦٥ هـ .

وواضح جدا أن هذا الكلام ما هو الا تخمين وافتراء على الحقيقة التى ضاعت بين هؤلاء المهرجين . حيث أن المحققين والمؤرخين الذين تعرضوا لمسيرة (الفضل بن العباس) رضى الله عنهما اتفقوا جميعا على أن الفضل بن العباس رضى الله عنهما — لم ينجب الا بنتا واحدة اسمها (أم كلثوم) وقد تزوجت الحسن بن على رضى الله عنهما — ثم طلقها فتزوجت بعد ذلك أبو موسى الأشعرى — ومن ذلك يتضح أن الفضل بن العباس رضى الله عنهما لم يكن له أبناء ذكور — وأن الفضل بن العباس قاتل مع النبى ﷺ يوم حنين وثبت معه وشهد معه حجة الوداع وقد قتل فى الشام بعد أن خرج إليها مقاتلا وبالضبط فى أجنادين (بفلسطين) وذلك سنة ١٥ هـ فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ومن هذا التحقيق السابق يتضح أن سيدهم (شبل) ما هو الى خرافة جديدة مضافة الى ما سبق من الخرافات — اذ أنهم قالوا : أن شبل بن الفضل بن العباس عم الرسول ﷺ ولم يتضح ذلك من كتب التاريخ الثابتة والتى لا ينكر صحتها الا جاحد — فهل سنجد منكم من يخبرنا عن حقيقة سيدكم (شبل) ويقول لنا ابن من هو ؟ أم ستبحثوا له عن أب آخر ؟

الطريف فى هذا الأمر أيضا أن الشيخ محمد خليل الضبع وهو من المعروفين فى مدينة الشهداء . اعترف لى بأن الفضل بن العباس عم الرسول ﷺ لم ينجب الا بنتا واحدة اسمها أم كلثوم .

لكنه أدعى فى نفس الوقت أن هذا الضريح به جسد أحد الأولياء المنسبين !! وعلى الفور ذهبت الى الشيخ الأحمدي غزالة المفتش العام لمساجد المنوفية وأملت عليه مقاله لى الشيخ محمد خليل الضبع — فقال لى الشيخ الأحمدي غزالة والذى فاجأنى بأن له بحث جيد فى هذا الموضوع !

ان ماتقول به الشيخ محمد خليل الضبع لا يصح منه شئ ثم استطرد الشيخ قائلاً •

- ١ — أن الفضل بن العباس لم ينجب الا بنتاً واحدة اسمها أم كلثوم — وهذا فى كتاب (أسد الغابة — فى معرفة أسماء الصحابة) •
- ٢ — ان الذى فتح منطقة الشهداء ومنوف فى الفتح الاسلامى هو وردان مولى عمرو بن العاص •

٣ — قال ياقوت الحموى فى (معجم البلدان) ان الشهداء الذين هم بجوار سرسنا كانوا فى معركة بين جيش عبد الله بن الزبير بقيادة عبد الرحمن بن جحدم — ومروان بن الحكم وهؤلاء الشهداء كانوا فى حرب بين المسلمين وبعضهم •

٤ — وفد رجل صوفى !! من القاهرة يسمى — أحمد الحسبى المصرى على الشهداء سنة ١٠٤٣ وأنشأ زاوية وقال للناس هنا فلان — وهو أول من أطلق هذه الأسماء مثل — شبل ، على الطويل ، المركبى ، الأربعين بجوارهم وكان صاحب طريقة صوفية !! ودعى تلاميذه الى أن يتفرغوا له وأن يقوموا بنسج الخوص وعمل القفف والمقاطف ! ثم تبع ويعيش منها الجميع هذا مذكور فى كتاب (خلاصة الأثر) للمحبى (١٠٠ هـ) •

وعلى افتراض أن مقاله الشيخ محمد خليل الضبع من أن هذا الضريح به أحد الأولياء المنسبين — فمعنى ذلك — أنه يقر ويعترف بأن — شبل بن الفضل بن العباس عم الرسول ﷺ ما هو الا وهم وخيال — ومن ثم فان هذا الذى كان يقصد بالزيارة والطواف والنذور والذبائح والاحتفال به كل عام — ليس له — أصل — ولا فصل — ولا مدرسة !!

والسؤال هنا ؟ الى من تذهب الجيوش الآن ؟ !

الى سيدهم شبل الخرافي ؟

أم الى الوجه الجديد والذي ظهر على الشاشة مؤخرا ؟؟

إذا كان الوجه الجديد هو المقصود بالزيارة والاحتفال به — فهذا ان دل على شيء • فانما يدل على أن هؤلاء ماهم الا عبادا لكل ماهو ضريح اذا كان مقصود الزيارة والاحتفال من قبل شبل بن الفضل بن العباس عم الرسول ﷺ !!

أما اذا كان المقصود من الزيارة والاحتفال به كل عام هو سيدهم — شبل — فعلى الجيوش أن تعلن هزيمتها فوراً لهروب الأمير من ساحة الميدان (١) !

(١) ومما يؤسف له ويؤكد أن غير العامة من المثقفين يعتقدون أن شبل هو ابن الفضل بن العباس عم الرسول ﷺ مذكروه الأستاذ — محمد زاهر بدير مفتش الآثار بجريدة الأخبار الصادرة بتاريخ ١٩٨٢/٥/٥ حيث قال حين تعرض لهذا الاسم (شبل) انه ابن الفضل بن العباس عم الرسول ﷺ . وكذلك أيضا فقد ذهب أحد محرري الصفحة الدينية بجريدة الاهرام الى نفس ماذهب اليه الأستاذ محمد بدير وذلك حين اراد التنبيه على دولة الدراويش في مصر عن بدء الاحتفال بعيد ميلاد (شبل)

ومن منطلق حسن الظن من أن المـورطين في هذا الفهم الخاطيء قد لا يعلمون أن الفضل بن العباس رضى الله عنها لم ينجب الا بنتا واحدة اسمها أم كلثوم وليس له أبناء — فأتى ادعواهم الى قراءة كتب التاريخ والتي سيأتى ذكرها في سلسلة مصادر البحث بمؤخرة الكتاب .

خميس خرج ولم يعد

وفي مدينة شبين الكوم مسجد يسمى بمسجد (خميس) وهذا المسجد يقع بالقرب من محطة قطار المدينة • وكالعادة فالناس يعتقدون أن هذا المسجد قد دفن به وليا من أولياء الله يدعى (خميس) خاصة وأن هذا المسجد كان به ضريح يقال ان به جسد (خميس) وفجأة يفكر البعض فى ترميم هذا المسجد واعادة بناؤه من جديد • وكان هذا الضريح ضمن التجديد لأسباب فنية تليق والتخطيط الجديد للمسجد وعندما حان وقت هدم الضريح — كان الكل فى حالة تأهب شديد • فبعد أن تتم عملية الحفر سيتم العثور على المطلوب اثباته حتى يكيدوا به العزال ! ولكن بدأ الحفر على (بركة خميس) وظل الحفر جاريا وكلما زادوا فى الحفر كلما ظهرت عليهم علامات الخيبة المركزة والخسران المبين • ففجأة أخرجت الأرض ماءها ولم يتم العثور على أى أثر لسيدهم (خميس) ولا حتى على كرامة واحدة قد تكون متعثرة تحت حجر ما • ومصيبة الذين يعتقدون فى من ليس له أثر أنهم أقاموا له احتفالا ضخما لا يقل فحشا وجرما عن بقية الموالد • ليتحقق المثل القائل (مولد وصاحبه غائب) وقد قمت بالفعل بزيارة هذا المسجد حتى أشاهد على الحقيقة المكان الذى كان به الضريح السابق وكان ذلك بصحبة أحد المسؤولين حيث رأيت التخطيط الجديد للمسجد والحجرة التى كنت أقصد رؤيتها •

وللاسف الشديد علمت بعد ذلك أن هذه الحجرة ربما تكون خاصة بالضريح الذى سيتم بناؤه من جديد بدلا من الضريح الآخر حتى يحجوا اليه من كل فج عميق وينذروا ويذبخوا له ويطلبوا منه العون والمدد والبركات •

ورغم ظهور الحقيقة فقد ادعى بعض السذج محاولين اسـدال الستار على الحقيقة أنهم شاهدوا سرداب تحت الأرض وأن هذا السرداب متجه ناحية طنطا ! أى أن (خميسهم) رحل سرا الى طنطا حيث ضريح (البدوى) ! ولنا هنا سؤال وهو هل قانون الاسكان الجديد فى دولة القبوريين يبيح التعايش بين اثنين من الأولياء فى مقام واحد ؟ ! (١) .

(١) يقول البعض ان (خميس) منسب — أى يرجع نسبه الى الرسول ﷺ وهذه عادة تجار الأضرحة وعباد القبور — فهم لعبة خطيرة يتم على أثرها اصطياد العامة من الناس — ولو أن هذا الاسم له اثر فى كتب التاريخ أو الفقه أو أى علم آخر لقمنا بالتحقيق فى مسألة النسب — ولكن كيف تحقق فى معرفة اسم ما فى الوقت الذى لا يعرف عن هذا الاسم أى شىء ؟ ثم نفترض أن هناك منسب ما حيا كان أو ميتا — ما الذى يملكه — مرة ثالثة نقول أن الرسول ﷺ كان لا يملك لاحد نفعا ولاضرا وهو بين أهله وصحابته الكرام . وقد أمره الله سبحانه وتعالى أن يخبر الناس بذلك — حيث قال له (قل لا أملك لكم ضرا ، ولا نفعا الا ما يشاء الله) وأمره فى موضع آخر أن يقول (قل اننى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) .

فإذا كان الرسول ﷺ لا يملك لاحد ضرا ولا نفعا وهو حى فكيف بمن دونه وقد طسوته الأرض يا قوم (لاتذر وزارة ووزر أخرى) يا قوم (ليس للإنسان الا ما سعى) يا قوم (ان اراد الله بكم شيئا فلن يمنعه الدسوقى — أو البدوى — أو الرفاعى أو خميس — أو جمعه — أو شبل الخرافى — أو أى مخلوق على وجه الأرض حتى لو كان نبيا . . .

هزيمة الأربعين بميت خاقان (١)

وفي قرية ميت خاقان أيضا — وهي بجوار مدينة شبين الكوم — كان
يقام بها كل عام مولد — لرجل أسموه بسيدهم الأربعين نظير أن بالقرية
مسجد به ضريح — ولما كان المسجد به ضريح — فلا بد وأن يكون به
(ولى) كما هو معروف عند البعض — وفجأة وبدون انذار — تم الغاء
هذا الأربعين — وكانت المفاجأة أنه لم يتم العثور على ما كان يطاف
حوله ويذبح وينذر له ويطلب منه المدد والبركات !! الا أننا نحمد الله •
فالقبوريون هنا لم يستخرجوا الى الآن (بدل فاقد) للضريح مثلما فعلوا
سابقا مع سيدهم (شبل) !

(١) أسطورة سيدهم الأربعين أسطورة مشهورة بين كثير من الناس في أماكن متفرقة وإلى
الآن لم أتف على حقيقة هذا الاسم ولماذا يسمى بسيدهم الأربعين بالذات ؟ ولم لا يسمى بسيدهم
المشرين مثلا ؟ اللهم الا اذا كان سيدهم الأربعين من أصحاب الأبدال وله في كل بلد بدل •

وشهد شاهد منهم

وقد يظن البعض أن هناك تجاوزا بالنسبة لما أوردناه تجاه بعض الأضرحة وما فيها وما يدور حولها • وحتى لا يبقى ظن مع أحد فان نفر من القبوريين أنفسهم يقطعون الشك باليقين ويقدموا لنا صورة حية مما هم عليه لتكون خير شاهد على ما نتكلم به والصورة عبارة عن اعلان لحضور عيد ميلاد طفل ميت حيث افتتح الكاتب الاعلان بقول الله تعالى « قل لا أسئلكم عليه من أجر الا المودة في القربى » ولا أدري ما علاقة هذه الآية الخاصة برسول الله ﷺ وقومه وهذا التهريج ؟ وبعد ذلك يدعوا الكاتب الى حضور الأخ الكريم والأخت الكريمة ويلاحظ أن هذه دعوة للجمع بين النساء والرجال • ولم يذكر الكاتب لماذا الرجال والنساء معا !! ألم تكن الرجال تكفى ! ولم يفكر أيضا لماذا طالع النساء بالحضور !! ومعلوم أن الله سبحانه وتعالى قد حرم الاختلاط بين النساء والرجال ولكن لأن هؤلاء لهم دين آخر وشرع آخر فانهم يعتقدون أن الجمع بين النساء والرجال هو من السنن المؤكدة في شرع الموالد ويسمون هذا الاختلاط — مخاوية !!

والآن مع (صاحب الفرع) قطب الأقطاب ولى الأحاباب سيدهم أشرف وما أدراك ما أشرف انه طفل لم يبلغ من العمر الا خمس سنوات تقريبا ورغم ذلك جعلوا منه وليا وسيدا وقطبا والبقية تأتى والمصيبة ان ادارة الضريح المكلفة بخدمة سيدهم أشرف ستحتفل بمولده لمدة أسبوعين ولا أدري كم تكون مدة الاحتفال لو أن سيدهم أشرف كان يبلغ من الكبر عتيا ؟؟ ومن هنا فانى التمس العذر لهؤلاء الذين يبيتون أمام أحمد و ابراهيم — أقصد البدوى والدسوقي وغيرهم ركعا سجدا يبتعون فضلا منهم ورضوانا •

بعد ذلك يحاول الكاتب بطريقة (جهنمية) استدراج المدعويين فيقول (حيث تقام حلقات الذكر والأنشيد الصوفية المباركة ؟)

والغريب أنه قبل أن يختم الاعلان يتمنى للأمة الاسلامية الخير وواضح جدا مدى الخير الذى تعيشه الأمة الاسلامية فى ظل عبادة القبور •

دعوة

«قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى»

(صدق الله العظيم)

أيها الأخ والأخت الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:
فقد حل موعد لقائكما بمولد ولى الله أشرف الرفاعى الحسينى
عتره رسول الله ﷺ ولهذا فسوف تحتفل ادارة ضريحه العامر باحياء
مولده ابتداء من أول شهر رجب عام ١٣٩٨ هـ الموافق ٧ يونيه عام ١٩٧٨ م
امتدادا لمدة خمسة عشرة يوما تنتهى يوم ١٥ رجب عام ١٣٩٨ هـ الموافق
٢١ يونيه عام ١٩٧٨ م •

(حيث تقام حلقات الذكر والأنشيد الصوفية المباركة)



وسوف يشهد جمعكم موكب
الصوفى عقب صلاة العصر مبتدأ
من مسجد الامام الشافعى امتدادا
حتى ضريحه بجوار مسجد بن
عطا الله السكندرى •

وذلك فى يوم احتفاله بالليلة
الختامية وكل عام والأمة الاسلامية
بخير •

والأمل عدم التخلف ،،،

القائم على ادارة الضريح
نائب السادة الرفاعية !

أقوال علماء السلف فى القبوريين

أولا

خطبة الامام ابن القيم عن القبوريين

يقول العالم الربانى ابن القيم واصفا أحوال القبوريين عند الأضرحة :

(..... فلو رأيت غلاة المتخفين لها عيدا • وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيدا ، فوضعوا لها الجباه ، وقبلوا الأرض وكشفوا الرؤوس ، وارتفعت أصواتهم بالضجيج ، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج ، ورأوا أنهم قد أربوا فى الربح على الحجيج ، فاستغاثوا بمن لا يبدى ولا يعيد ، ونادوا ولكن من مكان بعيد ، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين ، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ولا أجر من صلى الى القبلتين ، فتراهم حول القبر ركعا سجدا يبتغون فضلا من (الميت) ورضوانا • وقد ملأوا أكفهم خيبة وخسرانا ، فلغير الله ، بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات ، ويرتفع من الأصوات ، ويطلب من الميت الحاجات ويسئل من تفريج الكربات ، واغناء ذوى الفاقات ، ومعاذة أولى العاهات والبليات ، ثم أنشئوا بعد ذلك حول القبر طائفين ، تشبيها له بالبيت الحرام ، الذى جعله الله مباركا وهدى للعالمين ، ثم أخذوا فى التقبيل والاستلام ، رأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام ثم غفروا لديه تلك الجباه والخدود ، التى يعلم الله أنها لم تغفر كذلك بين يديه فى السجود • ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والخلق ، واستمتعوا بخلاقتهم من ذلك الوثن اذ لم يكن لهم عند الله من خلاق ، وقربوا لذلك الوثن القرايين • وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين ، فلو رأيتهم يهتئ بعضهم بعضا ويقول : أجزل الله لنا ولكم أجرا واغرا وحظا ، فاذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحج المتخلف الى البيت الحرام ، فيقول : لا ولو بحجك كل عام •

هذا ولم نتجاوز فيما حكيناه عنهم ، ولا استقصينا جميع بدعم
وضلالهم : اذ هي فوق ما يخطر بالبال ، أو يدور في الخيال • وهذا كان
مبدأ عبادة الأصنام في قوم نوح ، كما تقدم • وكل من شئ أدنى رائحة
من العلم والفقه يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة الى هذا المحذور ،
وأن صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما نهى عنه لما يزول اليه ، وأحكم في
نهييه عنه وتوعده عليه • وأن الخير والهدى في اتباعه وطاعته ، والشر
والضلال في معصيته ومخالفته •

ثانيا

خطبة الشيخ : حافظ بن أحمد حكى

عن القبورين

والشيخ حافظ ابن أحمد حكى قصيدة رائعة يبين فيها عقيدة
القبورين ويصف فيها أحوالهم عند الأضرحة - يقول فى قصيدته : (١)
الله أكبر لو رأيت على القبور
عكوفهم صيحا وبلا مساء
والله أكبر لو ترى أعيادهم
جمع الرجال معا وجمع النساء
والله أكبر لو رأيت مساجدا
بنيت على الموتى بأى بناء
قد زخرت بحجارة منقوشة
بالشيد قد ضربت مع الاعلاء
ورعوسها قد زينت بأهلة
من أنفاس المنقوش دون مرء
قد أسرجت ولكم على تسريحها
وقفوا الشموع لها بأى .. اذا
كم سادن قد وكلوه بشأنها
طيبا وتنظيفا وثنان ضياء
ويلله لو قد أخل ببعض ذا
ماذا يقاسى من ضروب بلاء
ولكم عليها راية قد نشرت
الوانها سبلبت لقلب الرائي
وكرائم الأنعام تنحر سوحها
منذورة يؤتى بها الوفاء
لم يفرّدوا رب السماء بدعوة
بل للقبور تجابوا نداء

(١) معارج القبور بشرح سلم الوصول .

يدعونهم في كشف كل ملة
في الجهر قد هتفوا وفي الاخفاء
ويعظمونهم بكل عبادة
ياصباح في السراء والضراء
وتراه بالرحمن يحلف
كاذبا وصفاته العليا وبالأسماء
لكنه لا يستطيع الحلف بالمقبور ذا
ان لم يكن بسراء
زادوا على شرك الذين لهم
بعث الرسول بأصدق الأنبياء
اذ يخلصون لدى الكروب وهولاء
فشركهم في شدة ورخاء
بل في الشدائد شركهم أضعاف
ماقد أشركوا في حباله السراء
فتسراه ينذر في الرخاء ببدنة
وببدنتين لدى اشتداد بلاء
وجميع مايتيه في سرائه
فله به الأضعاف في الضراء
تالله ماظفر اللعين بمثلها
من بعض أهل الشرعة الغراء
حتى اذا ما هياؤا العدوهم
سبب الدخول وسلم الاغراء
طمع العدو بهم لنيل مراده
منهم فعز القوم باستجداء
لما أساءوا الظن بالوحيين لكن
أحسنوه بذخرف الأعداء
لم يهتدوا بالنص بل اقتفوا
آراء من قد كان عنها نائي

نبذوا الكتاب فلم يقيموا نصه
 اذ كان ميلهم الى الأهواء
 وعبادة الأوثان قد صارت لهم
 ديننا تعالى الله عن شركاء
 وطرائق البدع المضلة صيروا
 سبلا مكان الملة السمحاء
 يارب ثبتنا على دين الهدى
 وعلى سلوك طريقة البيضاء
 واردد بتوفيقى اليها من نأى
 ممن قد استهوى أو لو الاغراء
 ياربنا فاكشف غطاء قلوبنا
 بالنور أخرجنا من الظلماء
 واسلك بنا نهج النجاة ونجنا
 من حيرة وضلالة عمياء
 واجعل كتابك ياكريم أماننا
 ورسولك المقدم للحنفاء
 وانصر على الأعداء حزبك
 انهم خبطتهمو فتن من الأعداء
 راموا بنا السواى بسوء مكائد
 فأقصمهمو يارب للأسبواء
 واردد الهى كيدهم فى بيدهم
 وابدهمو بيذا عن البيداء
 أظهر على الأديان دينك
 جهرة وشعاره فارفع بدون خلفاء
 واجعل لوجهك خلاصا أعما
 لنا بعبادة وولاية وبراء

ثالثا

مفتى الجمهورية سابقا يقول

زيارة الأضرحة شرك بالله

وجه مدير الشؤون الدينية بالاذاعة عام ١٩٥٧ الى فضيلة الشيخ حسن مأمون مفتى الجمهورية رحمه الله تعالى سؤالا لين يتناولين أمرين هامين : هما زيارة الأضرحة والطواف حولها والتوسل بها • والنسب لغير الله ، فأجاب فضيلة المفتى رحمه الله على هذين السؤالين بما يرضى سبحانه وتعالى حيث كانت الاجابة موافقة لما تعارفنا عليه من خلال الكتاب والسنة وأقوال علماء السلف رضى الله عنهم أجمعين •

كان السؤال الأول :

ماحكم الشرع في زيارة أضرحة الأولياء والطواف بالمقصورة وتقبيلها والتوسل بالأولياء •

ج : أود أن أذكر أولا أن أصل الدعوة الاسلامية يقوم على التوحيد والاسلام يحارب جاهدا كل مايقرب بالانسان من مزالق الشرك بالله ، ولا شك أن التوسل بالأضرحة والموتى أحد هذه المزالق وهى ربوا سب جاهلية •

فلو نظرنا الى ماقاله المشركون عندما نعى عليهم الرسول ﷺ عبادتهم للأصنام قالوا له (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فهى نفس الحججة التى يسوقها اليوم الداعوان للتوسل بالأولياء لقضاء حاجة عند الله أو التقرب منه •

ومن مظاهر هذه الزيارات أفعال تتنافى كلية مع عبادات اسلامية ثابتة فالطواف فى الاسلام لم يشرع الا حول الكعبة الشريفة ، وكل طواف حول أى مكان آخر حرام شرعا •

والتقبيل فى الاسلام لم يسن الا للحجر الأسود ، وحتى الحجر الأسود قال فيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يقبله(والله لو لآئنى

رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك (فتقبيل الأعتاب أو نحاس الضريح أو أى مكان به حرام قطعا .

وتأتى بعد ذلك مسألة الشفاعة ، وهذه فى الآخرة غيرها فى الدنيا ، فالشفاعة ارتبطت فى أذهاننا بما يحدث فى هذه الحياة من توسط انسان لآخر أخطأ عند رئيسه ، أو من بيده الأمر ، يطلب اليه أن يغفر له هذا الخطأ ، وإن كان هذا المخطئ لا يستحق العفو والمغفرة غير أن الله سبحانه وتعالى قد حدد طريق الشفاعة فى الآخرة ، فهذه الشفاعة لن تكون الا لمن يرتضى الله لهم أن يشفعوا ، ولأشخاص يستحقون هذه الشفاعة .

وهؤلاء أيضا يحدد لهم الله تعالى ، اذن فكل هذا متعلق باذن الله وحكمته ، فاذا نحن سبقنا هذا الحكم بطلب الشفاعة من أى أحد كان فان هذا عبث لأننا لانستطيع أن نعرف من سيأذن الله لهم بالشفاعة ، ومن يشفع لهم وعلى ذلك يتضح أن زيارة الأضرحة والطواف حولها ، وتقبيل المقصورة والأعتاب والتوسل بالأولياء وطلب الشفاعة منهم : كل هذا حرام قطعا ، ومناف للشرعية ، فيه اشراك بالله .

وعلى العلماء أن ينظموا حملة جادة لتبيان هذه الحقائق ، فان كثير من العامة بل ومن الخاصة ممن لم تتح لهم المعرفة الاسلامية الصحيحة يقعون فريسة هذه الرواسب الجاهلية التى تتنافى مع الاسلام واذا أخذ بالرفق فى هذا الأمر ، فلا بد أنهم سوف يستجيبون للدعوة لأن الجميع حريصون ولاشك على التعرف على حقائق دينهم !!

أما السؤال الثانى فهو .

هل يجوز النذر لغير الله ؟ مثل أن ينذر أحدهم نتاج ماشيته أو ريع أرضه أو مبلغا من المال لأحد الأولياء . وهل يقر الاسلام هذه النذور ؟

ج : وردت الآيات صريحة فى أن النذر لا يجوز الا لله . والنذر لغير الله شرك . فالنذر طاعة ولا طاعة لغير الله . انتهى .

رابعاً

فقوى الشيخ محمود شلتوت

هذا وقد سئل فضيلة الشيخ محمود شلتوت أيضاً عن حكم الاسلام في اقامة الأضرحة داخل المساجد وحكم الصلاة اليها والصلاة فيها فأجاب قائلاً :

شرعت الصلاة في الاسلام لتكون رباطاً بين العبد وربّه • يقضى فيها بين يديه خاشعاً ضارعاً يناجيه ، مستشعراً عظمته • مستحضراً جلاله ملتصقاً بعفوه ورضاه ، فتسمو نفسه وتركو روحه ، وترتفع همته عن ذل العبودية والخضوع لغير مولاه •

• « اياك نعبد و اياك نستعين » •

وكان من لوازم ذلك الموقف • والمحافظة فيه على قلب المصلّى • أن يخلص قلبه في الاتجاه اليه سبحانه ، أن يحال بينه وبين مشاهدته من شأنها أن تبعث في نفسه شيئاً من تعظيم غير الله ، فيصرف عن تعظيمه الى تعظيم غيره ، أو الى إشراك غيره معه في التعظيم •

ولذلك كان من أحكام الاسلام فيما يختص بأماكن العبادة تطهيرها من هذه المشاهد •

«وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيئنا للطائفين والعاكفين والركع السجود» (١) ، « واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيئنا للطائفين والقائمين والركع السجود » (٢) « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » (٣) « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » (٤) •

(١) الآية ٢٢٥ من سورة البقرة •

(٢) الآية ٢٦ من سورة الحج •

(٣) الآية ١٨ من سورة التوبة •

(٤) الآية ١٨ من سورة الجن •

تسرب الشرك الى العبادة :

ومازل العقل الانسانى وخرج عن فطرة التوحيد الخالص — فعبد غير الله ، أو أشرك .. غيره في العبادة والتقديس — الا عن طريق هذه المشاهد التى اعتقد أن لأربابها والثاوين فيها صلة خاصة بالله ، بها يقربون اليه ، وبها يشفعون عنده ، فعظمها واتجه اليها ، واستغاث بها ، وأخيرا طاف وتعلق ، وفعل بين يديها كل ما يفعله أمام الله من عبادة وتقديس •

لا تتخذوا القبور مساجد :

والاسلام من قواعده الاصلاحية أن يسد بين أهله وذرائع الفساد ، وتطبيقا لهذه القاعدة : صح عن النبى ﷺ أنه قال (ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، انى أنها كم عن ذلك) • نهى الرسول ، وشدد فى النهى عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، وذلك يصدق بالصلاة اليها ، وبالصلاة فيها ، وأشار الرسول الى أن ذلك كان سببا فى انحراف الأمم السابقة عن اخلاص العبادة لله ، وقد قال العلماء انه لما كثر المسلمون ، وفكر أصحاب الرسول فى توسيع مسجده ، وامتدت الزيادة الى أن دخلت فيه بيوت أمهات المؤمنين ، وفيها حجرة عائشة ، مدفن الرسول ﷺ وصاحبيه أبى بكر وعمر فبنوا على القبر حيطانا مرتفعة تدور حوله مخافة أن تظهر القبور فى المسجد فيصلى اليها الناس ، ويقعوا فى الفتنة والمحذور •

واجب المسلمين نحو الاضرحة :

واذا كان الافتتان بالأنبياء والصالحين ، كما نراه ونعلمه ، شأن كثير من الناس فى كل زمان ومكان ، فانه يجب — محافظة على عقيدة المسلم — اخفاء الأضرحة من المساجد ، وألا تتخذ لها أبواب ونوافذ فيها ، وبخاصة اذا كانت فى جهة القبلة • يجب أن تفصل عنها فصلا تاما بحيث لا تنفع أبصار المصلين عليها ، لايتمكون من استقبالها وهم

بين يدي الله ، ومن باب أولى يجب منع الصلاة في نفس الضريح ،
وازالة المحاريب من الأضرحة •

وان مانراه في المساجد التي فيها الأضرحة ، ونراه في نفس—
الأضرحة لما يبعث في نفوس المؤمنين سرعة العمل في ذلك ، وقاية لعقائد
المسلمين وعباداتهم من مظاهر لا تتفق وواجب الاخلاص في العقيدة
والتوحيد •

ومن هنا رأى العلماء أن الصلاة الى القبر أيا كان محرمة ، ونهى
عنها ، واستظهر بعضهم يحكم النهى بطلانها ، فليتنبه المسلمون الى
ذلك ، وليسرع أولياء الأمر في البلاد الاسلامية الى اخلاص المساجد
لله كما قال الله :

« وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » •

خامسا

فتوى فضيلة الشيخ على محفوظ رحمه الله

هذا ولفضيلة الشيخ على محفوظ رحمه الله والذي كان عضوا بهيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف كلاما طيبا ذكره في كتابه المشهور (الابداع في مضار الابتداع) .

حيث قال بعد أن ذكر بدع اتخاذ المقابر والأضرحة أعياد .
وأما المفاصد التي تنشأ عن ذلك فكثيرة (منها) أن النساء قد اتخذن ذلك ميدانا لشهواتهن فيتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ويتزين للخروج الى المقابر والأضرحة بأجمل زينة ويتهتكن بأقبح صورة : لا دين يمنعهن : ولا أدب يردعهن ، وكثير منهن يركبن على الدواب في الذهاب والرجوع ويمسهن المكاري (العريجي) في اركابهن وانزالهن وتقع المحادثة بينهما كأنه زوجها أو ذو محرم منها وكثيرا مايشترك الرجال والنساء الأجانب في ركوب واحد على ازدحام واحد شديد مع تمام التبرج والزينة — والتبرج اظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال الأجانب وهو من أقبح البدع التي ستذهب بالقومية المصرية ان لم يتداركها الله بالغيورين العاملين .

هذا في الذهاب والعودة (وأما) في حال زيارتهن للقبر فالأمر أشنع وأفظع فانهن يخالطن الرجال مع كثرة الخلوات هناك وتيسر الدور وكشيفهن لوجوههن ، وهناك يختلط بهن الشرار من الشبان في مزاح ومداعبة وكثرة ضحك مع الغناء في مجموع الخشية والاعتبار والذل ، وخروجهن على هذه الأحوال نهارا محل ريبة فكيف به ليلا .

(وعلى الجملة) فما يترتب على خروجهن الى المقابر من الفسوق والخروج عن حدود الآداب كثير مشاهد يستغيث منه الدين وتتألم منه الانسانية ويذهب معه الحياء والمروءة وتتأذى به الأموات في قبورهم ، لأن أرواحهم خرجت من النوم الى اليقظة ومن الهزل الى الجد وصارت لا تميل الى مثل هذه السفاف بل لا تهوى سوى الحق والكمال ، فكيف

المسكوت على هذا من زوج أو ذى غيره على الدين والعرض فلا حول ولا قوة الا بالله .

ومن هذه المفاصد ما يقع عند الموتى مما يكرهونه ويتأذون منه من الجلوس على المقابر والوطء عليها ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص الى جملده خير له من أن يجلس على قبر) رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه ، وكذا الاستتاد اليها فعن عمرو ابن حزم قال : رأى النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم متكئا على قبر فقال : (لا تؤذ صاحب هذا القبر) رواه الامام أحمد ، وكذا البيهقي والتعظيم عندها وكثرة اللغو الذى يكون من الازدحام والبيع والشراء ولصوات الأراجيح وغيرها من كل ما يخالف الدين ويحول بين القلوب والخشية وبين الموتى والرحمة مع أن قصد الزيارة انمسا هو نوال الاحسان الى نفس الزائر الى الميت .

ثم تحدث بعد ذلك عن اهتمام النساء بزيارة القبور — فقال :

ومن المفاصد اهتمام النساء بزيارة القبور واهمال الرجال فقد عكس الشيطان على الناس قضية المشروع فان الزيارة مستحبة للرجال لخبر مسلم : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة) قال الحافظ المنذرى قد كان النبى ﷺ نهى عن زيارة القبور نهيا عاما للرجال والنساء ثم أذن للرجال فى زيارتها واستمر النهى فى حق النساء اه .

وسر النهى أولا عن زيارتها أنه لما كان متشا عبادة الأصنام من جهة القبور فى قوم نوح نهى النبى ﷺ أصحابه فى صدر الاسلام عن زيارتها سدا لذريعة الشرك لكونهم حديثى عهد بكفر ثم لما تمكن التوحيد فى قلوبهم أذن لهم فى زيارتها وعلمهم كيفيتها تارة بفعله وتارة بقوله كما مر فى الأحاديث أول الفصل .

أما زيارة النساء للقبور فمن العلماء من حرمها مطلقا ومنهم من فصل بين المشابهة وغيرها . قال فى المدخل انما هذا الخلاف فى نساء ذلك

الزمان وكن على ما يعلم عن عاداتهن في الاتباع ، وأما خروجهن في هذا الزمان فمعاذ الله أن يقول أحد من العلماء أو من له مروءة أو غيرة في الدين بجواز ذلك ، فان وقعت ضرورة للخروج فليكن ذلك على ما يعلم في الشرع من الستر لا على ما يعلم من عاداتهن من الذميمة في هذا الزمان .

ومن المفاسد الفاشية (تقبيل واستلام قبور الأولياء) والأنبياء والعلماء صرح به الامام النووي رحمه الله ، وترخيص بعضهم في هذا الاستلام وكذا في تقبيل قبور من ذكروا بقصد التبرك لا سبند له (نعم) اذا غلبه وجد وأدب وحال فله حكم آخر !!

ومن المفاسد اتخاذ الملاهي والملاعب عند المقابر وكذا كثرة المزاح والضحك وانشاد القصائد ، يقع هذا في موطن الخشوع والاعتبار وما هو جدير بالحزن والخشية فعنه صلى الله عليه وآله وسلم (ان الله يكره لكم ثلاثا : العبث في الصلاة والرفث في الصيام والضحك عند المقابر) رواه غير واحد من طرق مختلفة — والرفث الفحش في القول

ومن البدع السيئة الطواف حول الأضرحة فانه لم يعهد عبادة الا بالبيت وكذا لم يشرع التقبيل والاستلام للحجر الأسود (قال في المدخل) فترى من لا علم عنده يطوف بالقبور الشريف كما يطوف بالكعبة الحرام ويتمسح به ويقبله ويلقون عليه مناديلهم وثيابهم يقصدون به التبرك وذلك كله من البدع لأن التبرك انما هو بالاتباع له عليه الصلاة والسلام ، وما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام الا من هذا الباب ، ولأجل ذلك كره علماؤنا رحمة الله عليهم التمسح بجدار الكعبة أو بجدران المسجد أو بالمصحف الى غير ذلك مما يتبرك به سدا لهذا الباب ، ولخالفه السنة لأن صفة التعظيم موقوفة عليه صلى الله عليه وآله وسلم فكل ما عظمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعظمه ونتبعه فيه .

فتعظيم المصحف قراءته والعمل بما فيه لا تقبيله ولا القيام اليه كما يفعله بعضهم في هذا الزمان ، وكذلك المسجد تعظيمه الصلاة فيه

لا التمسح بجدارنه ، وكذلك الورقة يجدها الانسان في الطريق فيها اسم من أسمائه تعالى أو اسم تعالى أو اسم نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ترفيعه ازالة الورقة من موضع المهنة الى موضع ترفع فيه لا بتقبيلها ، وكذلك الولي تعظيمه اتباعه لا تقبيل يده وقدمه ولا التمسح به فكذلك ما نحن بسبيله تعظيمه باتباعه لا بالابتداع عنده أ — ه •

ثم تحدث بعد ذلك عن المبيت في المقابر فقال :

(ومن هذه المفاصد) المبيت فيها وايقاد السراج والشمع ونحوه على القبور ففي الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام (لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسراج) رواه أبو داود والترمذى وحسنه ، وقد نهى صلى الله عليه وآله وسلم عن أن يتبع الميت بنار فكيف يفعل ذلك على قبره • قال العلامة البركوى فكل ما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من الكبائر • وقد صرح الفقهاء بتحريمه اذ لو كان اتخاذ السرج عليها مباحا لم يلعن من فعله • واللعن لما فيه من تضييع المال في غير فائدة • والافراط في تعظيم القبور تشبها بتعظيم الأصنام (أ — ه) •

سادسا

كلمة جريئة لعالم معاصر !

قال الشيخ محمد الغزالي تحت عنوان الموالد في كتابه (ليس من الاسلام !) •

من تقاليد الأجانب احتفاؤهم بأعياد ميلادهم ، واستقبالهم الأعوام الجديدة ، بأحفال تثير في حياتهم البهجة ، وتملأ نفوسهم بالنشاط والأمل •

هذه العادات — اذا خلت من المجون والحرام — يمكن الابقاء عليها دون حرج •

واذا نقلناها عنهم لنعرف حسابنا مع الزمن ، ومدى ما قطعنا منه في الماضي ، ومدى ما نفيد منه في المستقبل كان ذلك حسنا ، لمن شاء ! •



وهذا شيء غير ما يصنعه المسلمون في موالدهم •
فقد جرت عادتهم — اذا مات فيهم من يحسبونه صالحا — أن يتخذون على قبره ضريحا ، وأن يبنوا فوق الضريح قبة مشرفة ، وأن يجعلوا منه مزارا ، وأن يحتفلوا بمولده مرة أو مرتين كل عام !!

وهذا العمل مزيج من معصية وبدعة •
ولا ريبة في أنه مخالفة كبيرة لتعاليم الاسلام •
وقد تعددت موالد الصالحين (١) في طول البلاد وعرضها ، وأصبحت أسواقا مألوفة ومواسم معروفة •

وقيل : ان أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون بالقرن الرابع للهجرة ، فقد ابتدعوا ستة موالد : المولد النبوي ، ومولد الامام على ، ومولد السيدة فاطمة الزهراء ، ومولد الحسن والحسين ، ومولد الخليفة الحاضر •

وبقيت هذه الموالد على رسومها الى أن أبطلها الأفضل ابن أمير الجيوش ، ثم أعيدت في خلافة الحاكم بأمر الله سنة ٥٢٤ هـ بعد ما كاد الناس ينسونها •

وأول من أحدث الاحتفال بمولد النبي ﷺ الملك المظفر أبو سعيد في القرن السابع بمدينة « اربل » ، ثم فشلت هذه الموالد ، في شتى الأقطار وكثر قصاها •

وافتتوا في تنميتها وإبرازها وملئها بما تهوى الأنفس ، حتى صارت كلمة « مولد » رمزا على الفوضى والزياط والمساخر •

والتقرب الى الله بأقامة هذه الموالد ، عبادة لا أصل لها •

بل إن من العصيان لله ورسوله اتخاذ مقابر الصالحين محورا لهذه الحشود ، ومثابة لهذه الأحفال ، حتى ولو كانت مبنية على القربات المحضة •

فقد قال رسول الله ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر ولا تجعلوا قبرى عيدا ، وصلوا على أينما كنتم ، فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم » •

وفي رواية عن سهيل بن أبى سهيل قال : « رآنى الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عند القبر • فنادانى — وهو فى بيت فاطمة يتعشى — فقال : هلم الى العشاء • فقلت : لا أريد ! فقال : مالى رأيك عند القبر ؟ فقال : سلمت على النبى ﷺ فقال : اذا دخلت المسجد فسلم ، ثم قال : ان رسول الله ﷺ قال « لاتخذوا بيتى عيدا ولا بيوتكم مقابر ، وصلوا على ، فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم » •

فاذا كان رسول الله ﷺ كره أن يتخذ الناس قبره ساحة للأطفال ومجمعا للقصاد ، فكيف بقبور غيره ممن نعرف ولا نعرف ؟

على أن المساجد التى تشد اليها الرجال وتبذل فى بلوغها النفقات معروفة •

وهى — كما أحصاها رسول الله ﷺ — المسجد الحرام ، والمسجد النبوى ، والمسجد الأقصى •

ومكانة هذه المساجد لم تجئها من احياء مولد بها ، أو من تكريم مقبور فيها ، بل جاءت لها من خاصة ، لا مجال لشرحها هنا •

فأولئك الذين يحسبون أنهم يرضون الله بأقامة موالد ، لكبار الأولياء أو صغارهم ، يرتكبون بدعا سيئة ، ويهيئون الفرصة لمعاصي منكرة .

والحق أن الموالد من أخصب البيئات للمناكر الظاهرة والمستورة .
ففى ساحاتها الواسعة ينتشر الرقعاء دون خجل ، ويختلط النساء بالرجال فى المأكّل والمنام ، وكثيرا ما تقع جرائم الزنا واللواط . ويدخن الحشيش ، وتسمع الأغاني والموسيقى الخليعة ، وتختفى روح الجـد وتقدير الأمور . لتحل مكانها قلة الاكتراث ، وقبول الدنيا . .

كما تختفى النظافة من المساجد ، وتضطرب الأوقات والجماعات .
ودعك من أن الوافدين على هذه الساحات لهم عقائد غريبة ، فربما ضن أحدهم على أمة بقروش يبرها بها ، فى الوقت الذى ييسط يده بالنفقة هنا ، اكراما لصاحب المولد ، الذى لا يخيب قاصدا ، ولا يرد طالبا . . !!

وبعض الناس يعتذر لهذه الموالد بأن فيها حلقات لذكر ودروسا للعلم وتلاوة للقرآن ، واطعاما للفقراء والمساكين .
ولو خلت الموالد من الآثام التى سقناها آنفا ، لوجب تعطيلها أيضا ، لمظاهر التدين الفاسد التى تسودها .
فحلقات الذكر ضروب من الهوس وألوان من الرقص الذى يسود له وجه الدين .

أما القرآن المتلو فى هذه الساحات فما ينتفع به قال ولا سامع .
انه غناء مملول النغم ، يتصنع له بعض السامعين شيئا من الاقبال ، ريثما يفرغ منه .

وكذلك الوعظ فى دروس الوعظ والارشاد التى ينظمها الأزهر الآن يبنى بها تعليم الجماهير المحتشدة فى هذه الموالد .
تلك كلها محاولات عابثة واهدار لقيمة الذكر الحكيم والحديث الشريف .

ولو افترضنا بعض الخير في هذه الأعمال ، فانها لا تعد مبررا
لإقامة الموالد بعد ما أوضحنا الشرور التي تكتنفها •
وقانون الشريعة في هذا ، أن درء المفسد مقدم على جلب
المصالح •

قال ابن حجر :

« ألا ترى أن الشارع اكتفى من الخير بما تيسر ؟ وفطم عن جميع
أنواع الشر حيث قال رسول الله ﷺ : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه
ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه » ؟ •
أى أن النشر — وان قل — لا يرخص في شيء منه ، والخير يكتفى
منه بما أمكن •• !

فكيف نفتح باب شرميتين لخير موهوم ؟

ثم ما وعاء هذا الخير المزعوم •

عمل لم يفعله الرسول ﷺ ، ولا صحابته ، ولا التابعون لهم
بإحسان قرونا طويلة • وقد انتهى شيخ الأزهر الأسبق الأستاذ محمد
مصطفى المراغى الى هذا الحكم ، أو الى قريب منه • حيث قال :
« وهناك أمور يعرض لها أن تكون بدعة ، وألا تكون بدعة •
مثلا الاحتفال بمولد النبي ﷺ ، وبيوم الهجرة ، وبالمحمل •

إذا فعلت هذه الأشياء على أنها عبادة وتدين ، كانت بدعة بلا
شبهة ، لأنها أحداث عبادة لم تكن ولم يؤذن فيها •

أما إذا فعلت على سبيل العادة ، وعلى أن الاحتفال بالهجرة
وبمولده ﷺ أحياء لذكريات عزيزة ، كانت سببا للخير ، وموجبة للشكر
لتنبعث نفس المؤدى الى التمسك بالهدى وبالخلق الكريم ، لم تكن
بدعة ، لأنه لم يقصد بها التدين ، ولم يرد أحداث شيء في الدين •

لكن إذا حفت هذه المحدثات — التي ليست بدعا — بما هو بدعة
وبما هو مخالف للشريعة حرمت ، لما هو ملابس لها من البدع ، ولما هو
ملابس لها من المعاصي •

• وكل معصية غشت لا تسمى بدعة •

الناس لأنفسهم فيه العنان ، مما هو مخالف لقواعد الشريعة
لا يسمى بدعة ، وإنما هو معاص ومحرّمات •

• وملاحظة ضوابط البدعة يساعد كثيرا على معرفتها •

وقد قلنا : ان أهم الميزات والخواص أن يحدث الشيء على أنه
حين يتعبد به وعلى أن يقصد فاعله التعبد والمتدين والتقرب به الى الله
سبحانه •

نقول : ولا شك أن الذين يحتفلون بالموالد المختلفة ، وينفقون فيها
كرائم أموالهم ، ويتجشمون مشاق السفر الى العواصم البعيدة
 للمشاركة في أحيائها إنما يفعلون ذلك على أنه قربى الى الله ، وتكفير
للسيئات ، ورفعة في الدرجات •

ومن ثم فنحن نميل الى تعميم الحكم على هذه الموالد جميعا ،
ووصفها بأنها مبتدعات ترفض ولا يتعذر لها •

ومن الوسائل التي يلجأ اليها حكام الجور ، لصرف الناس عن
ملاحقتهم بالنقد ، تضخيم الأحداث التافهة وحوك الأساطير حولها ،
ثم اشاعتها بين العوام وأشباههم ، ليتلها بها زما • فإذا فرغوا منها
لوحقوا بغيرها ، وهكذا دواليك ، حتى يستقر للحكام الفسقة أمرهم
دون نكير •• ! •

ولعل هذا هو السر في تطويل قصة « عنترة بن شداد » قديما ،
فبلغت أجزاءها نيفا وستين كتابا ••

وكذلك « ألف ليلة وليلة » وما شاكل هذه الموسوعات الخرافية •
والصحف في عصرنا هذا ، حين توجه الى إماتة بعض القضايا
الكبرى تبرز بدلا منها بعض مآسى الغرام الحرام ، وتفتن في سرد
فصوله الدقيقة •

وأحسب أن تتقيل الجماهير المغفلة من مزار الى مزار ، واخراجهم من حفل لادخالهم في حفل ، وجعل حياة الأمة سلسلة من هذه الملاحى الدينية الموصولة — أحسب أن ذلك كان غاية منشودة لبعض الحكام السابقين وأن بدعة الموالد كانت وسيلة ناجحة لبلوغ هذا الهدف .

وهل يبقى لأمة ما وقت أو جهد للحق والعلا بعد ما استهلكت
المساخر وقتها وجهدها ؟

أن الغاء الموالد ضرورة دينية ودنيوية •• (١١) •

سابعاً

هذا والدكتور حسن أحمد عمر قصيدة طيبة عن عباد القبور
يقول فيها :

يا من ملأتم أرض مصر مساجدا	وعبدتم الأسياف والكهانا
هل مبدأ التوحيد أن القباب	تقدموا لضريحها القربانا ؟
أم تجعلوا ميتا طوته يد الردى	يغيث ويرحم الانسبانا ؟
وهو الذي لوداهمته بعوضة	عجزت قواه فأعلن الازعانا
يا من بنيتم ذا الضريح لجثة	بعد الفناء فولدت ديدانا
أقسمت بالله الذي يخلق الورى	لو أنكم شاهدتمو الأبدانا
لوضعتموها تحت أنقاض الثرى	كيما تعود لأصلها فتصبانا
أصحاب أضرحة المساجد زمرة	باعوا الخلود ليشتقروا البهتانا
قد شهيدوها كي تدر عليهمو	مالا به يتملكوا الأطيئانا
والجاهلون بيالغون بجهلهم	عبدوا القبور فأصبحت أوثانا
ومشايع الطرق الذين تربعوا	فوق الولاية هدموا الأديانا
أوحت شياطين الغرور اليهمو	أن خدروا بالفتنة الأذهانا
يأيها الناس الذين تراحموا	نحو الضريح جنيتموه الكفرانا
شبتان بين الخاشعين لربهم	والخاشعين لميت شبتانا
هل أنزل الرحمن « جبريلا » لكم	بالوحى .. نرجو منكمو التبياننا ؟
عودوا الى الله ارجعوا من غيكم	توبوا اليه واطلبوا الغفرانا
الله أكبر فوق كل مكابر	والله أكبر يمحى البطلانا ؟

ثامنا

جريدة الحزب الوطنى

تحرم الصلاة فى المساجد التى بها أضرحة !

فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٣/١١/١ قالت جريدة اللواء الاسلامى التى يصدرها الحزب الوطنى الديمقراطى ردا على سؤال حول حكم الصلاة فى المساجد التى بها أضرحة •

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم : (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) ومعنى الآية أن السجود ومواضع السجود لا تكون الا لله فهناك يكون التوحيد الخالص ويتوارى كل ظل لكل أحد وينفرد الجو ويتمحض للعبودية الخالصة لله تعالى •

وهذا لا يكون الا فى المساجد الخالية من القبور •

وبدعة جعل القبور فى المساجد بدعة يهودية تسربت للنصارى ثم للمسلمين وهى بدعة من أخطر البدع على عقيدة التوحيد لذلك • حذر الرسول صلى الله عليه واله وسلم كثيرا بل انه لعن من ابتدئها فى قوله (قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) متفق عليه وزاد مسلم والنصارى • وفى مسلم عن عائشة قالت ان أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير فقال : ان أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة • وهذا النهى المطلق لسد الذريعة والبعد عن التشبه بعبدة الأوثان الذين يعظمون الجمادات التى لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ولما فى ذلك من انفاق المال والقاء السرج عليها الملعون فاعله ومفاسد ما يبنى على القبور من المشاهد والقباب لا تحصر • وقد أخرج أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن ابن عباس قال (لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) • أما من قال يجوز اتخاذ مسجد فى جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه فهذا كلام ساقط ومردود بما ورد من الأحاديث

الصحيحة والكثيرة منها عن عائشة رضى الله عنها • (كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وقبة) (أولئك شرار الخلق) وكفى به ذما والمراد من الاتخاذ أن اليهود ابتدعوا والنصارى اتبعوا • أما عن الصلاة في المساجد التى بها أضرحة فأننى أسوق لك هذا الحديث الشريف الذى رواه مسلم فى صحيحه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها ولا عليها • بل ان سيدنا على كرم الله وجهه قال لأبى الهياج الأسدى ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ أن لا أدع قبراً مشرفاً الا سويته ولا تمثالاً الا طمسته • وقال ﷺ (لا تجعلوا قبورى وثناً يعبد من دون الله) تفيد التحريم للعمارة والتزيين والتخصيص ووضع الصندوق ووضع الستائر على القبر والتمسح بجدار القبر وأن ذلك قد تفضى مع بعد العهد وفشو الجهل الى ما كان عليه الأمم السابقة من عبادة الأوثان فكان فى المنع عن ذلك قطع لهذه الذريعة المفضية الى الفساد وهو المناسب للحكمة المعتبرة فى شرع الأحكام من جلب المصالح ودفع المفاسد سواء كانت بأنفسها أو باعتبار ما تفضى اليه •

ورداً على سؤال مماثل حول تغير قول الله تعالى (وأن المساجد لله) قالت الجريدة :

هذه الآية يجوز أن تكون حكاية عن الجنة • ويجوز أن تكون من كلام الله ابتداء وهى فى الحاليتين توحى بأن السجود • أو مواضع السجود وهى المساجد لا تكون الا لله تعالى • فهناك يكون التوحيد الخالص ويتوارى كل ظل لكل أحد ولكل قيمة ولكل اعتبار وتكون العبودية خالصة لله الواحد القهار • فلا دعاء لغيره ولا التجاء لسواه ولا شغل للقلب الا الله • وهذه الآية نص فى تخلية المساجد مما طرأ عليها من بدع مثل ما يفعله الجهلة من طلب المدد من قبور لا يدري عن

مصيره شيئاً أو جعله واسطة بينهم وبين خالقهم وقد علموا أن الله قريب منهم لا يحتاج الى واسطة قال تعالى جواباً لمن سأل رسول الله ﷺ عن الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فأُنزل سبحانه وتعالى (وإذا سئلك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) •

ومعنى قوله تعالى (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) أى اجتمع عليه الجن متكئين عليه حين قام يصلى ويدعو — وربه مأخوذ من بروع القرآن الكريم واعجازه لذلك لصق بعضهم ببعض فصاروا كأنهم لبدة صرف ليكون كل منهم أقرب لرسول الله ﷺ من أخيه ليسمعه عن قرب •

تعالوا الى كلمة سواء

أيها القويرون : اعلّموا أن الهدى الصحيح هو الهدى الذى كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضى الله عنهم أجمعين وأن من يخالف هذا الهدى ويفترى على الله كذبا ويدعى أنه يتقرب الى الله بأى عمل لم يفرضه الله علينا ولم يحدثنا به رسول الله ﷺ فعمله هذا مردود عليه حتى لو كان صاحب هذا العمل يمشى على الماء ويتربع فى الهواء .

وليكن لنا فى صحابة رسول الله ﷺ أسوة حسنة فيما كانوا عليه من الأعمال اذ أنهم لم يخالفوا رسول الله ﷺ وأنى لهم مخالفة المبعوث رحمة للعالمين وقد علموا قول الله لهم :

« ولكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (١) .

فبين الله عز وجل أن من كان حقا يرجو الله واليوم الآخر فليكن له فى رسول الله أسوة حسنة ويحتكم اليه فى كل صغيرة وكبيرة • ويزن أموره على ذلك وفى ذلك يقول الله تعالى :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٢) .

فدلت الآية على أننا ان لم نحكم رسول الله ﷺ فيما شجر بيننا فليسنا بمؤمنين الا اذا أخذنا بما حكم دون حرج فى الصدور •

فاما « من يشاقق الرسول من بعد أن تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصرا » •

فبين الله سبحانه وتعالى أنه مامن أحد يحتكم الى الله ورسوله فى أمر ما ثم يظهر له الحق ويحيد عنه فهذا والعياذ بالله فى نار جهنم •

(١) الاحزاب ٢١ •

(٢) سورة النساء ٦٥ •

هذا بخلاف أن طريق المؤمنين هو الطريق الذي كان عليه رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين •

فمن سلك غير هذا الطريق وابتدع (طرقا) أخرى — لاتسمن ولا تغنى من جوع فهو من الذين اتبع غير سبيل المؤمنين •
اذ يقول الله تعالى :

« يوم يعرض الظالم على يديه ويقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا (١) يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا (٢) • لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جائنى » (٣) ••

فهذه الآية تبين أيضا مصير هؤلاء الذين تركوا هدى الحبيب ﷺ وسلكوا طريق الهواجس والخرافات بعد أن ضاقت صدورهم بحدود الله سبحانه وتعالى •

ولما كان كلام الرسول ﷺ من كلام الله سبحانه وتعالى فيجب اتباعه في كل صغيرة وكبيرة • اذ يقول الله تعالى :

(وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) (٤) •

وعن المقدام بن معد يكرمه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ألاهل عسى رجل يبلغه الحديث عنى وهو متكئ على أريكته فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراما حرماناه • وان ما حرم رسول ﷺ كما حرمه الله (رواه الترمذى •

والمعنى أنه لا يحل لمسلم أن يقول لا آخذ الا ما فى كتاب الله من حرام وحلال ويعرض عما جاء به الرسول ﷺ • لأن الرسول ما كان يحلل أو يحرم شيئا من تلقاء نفسه ولكن كان بوحى اليه من الله أو كان كلامه بمثابة تبين وتوضيح لما فى كتاب الله من أحكام يصعب على المسلم استنباطها والدليل قول الله تعالى :

(وما أنزلنا اليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (٥) •

(١) (٢) (٣) سورة الفرقان ٢٧ — ٢٨ — ٢٩ •

(٤) النجم ٤ — ٥ •

(٥) سورة النحل ٦٤ •

ولذلك قال الله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (١) .

(فبين الله تعالى أن الأخذ بما جاء به الرسول ﷺ هو الأخذ بما جاء به الله سبحانه وتعالى ويثبت صحة ذلك من قول الله تعالى :

« من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا » (٢) .

ثم لو افترضنا أننا لا نأخذ إلا ما في كتاب الله فمن أين أتينا بمواقيت الصلاة وعدد ركعاتها ؟

هذا على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر . إذ أن هناك أمور كثيرة أتى بها الرسول ﷺ ولم تكن ظاهرة لنا في كتاب الله فهل لانأخذ بها لأنها لم تكن ظاهرة لنا ؟

ومن ثم فإن الذين يدعون بأنهم يتقربون الى الله تعالى بما ليس في كتابه الكريم ولا في سنة رسوله الحبيب عليهم أن يعلموا أن ادعائهم . باطل . باطل . لأن الرسول ﷺ يقول في الحديث القدسي . ان الله تبارك وتعالى قال :

« من عاد لى وليا فقد آذنته بالحرب . وما تقرب الى عبد بشيء أحب الى مما افترضته عليه . ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها . ورجله التى يمشى بها . ولئن سألنى لأعطينه ، ولان استعاذنى لأعيذنه » .

ففى معنى قوله تعالى (وما تقرب الى عبد بشيء أحب الى مما افترضته عليه) دليلا على أن من أراد أن يتقرب الى الله فليتقرب اليه بما افترضه الله عليه . حتى يسعد برضائه ويرزق معيته . فاذا ما ادعى

(١) سورة الحشر ٧ .

(٢) سورة النساء ٨٠ .

رجل أنه يتقرب الى الله بشيء لم يفرضه الله ولم يأت به رسوله الكريم ﷺ ففعله مردود عليه وقد وقع في لبس • قال تعالى :

« ليلوكم أيكم أحسن عملا » •

أى أخلصه وأصوبه • فأخلصه أن يكون خالصا لوجه الله • وأصوبه أن يكون على السنة • فان كان خالصا وليس على السنة لم يقبل منه لكونه محدثة ، والمحدثه بدعة والبدعة ضلالة ، والضلالة في النار وان كان على السنة ولم يكن خالصا • لم يقبل لقول الله تعالى :

« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه

أحدا » •

والقبوريون أيضا منقسمون فمنهم من يعلم أن ما هم فيه انما هو من قبيل التهريج وتضييع للوقت أو تحقيق لبعض المآرب ! وكثير منهم يصرح بذلك بين الحين والحين • ومنهم من ضل سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعا وهؤلاء من اليسير رجوعهم الى الطريق المستقيم بعد أن يبين لهم بالحجة ما قد وقعوا فيه من لبس ويقع في هذا الأمر كثير منهم لعدم أخذهم العلم بالأدلة الصحيحة والمتفق عليها من قبل رواة الحديث وأئمة التفسير ، فقلما نجد منهم من يتحدث بالدليل الصحيح ، ولهذا كان الشيطان لا يخاف ممن يتعبد لله آناء الليل وأطراف النهار بقدر ما يخاف ممن يتفقه في الدين ولذلك قال رسول الله ﷺ •

(من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) متفق عليه •

وما قال رسول الله ﷺ ذلك عبثا • ولكن لعلمه بأن قليل العلم كثير ما يقع فريسة للشيطان •

وقد دعا رسول الله ﷺ لابن عمه الامام ابن عباس رضى الله عنهما وقال : « اللهم فقه في الدين » فاستجاب له الله وصار ابن عباس رضى الله عنهما متفقا في الدين حتى لقب (بترجمان القرآن) أى الخير بما فيه • ويقول الله تعالى :

« انما يخشى الله من عباده العلماء » •

فبين الله سبحانه وتعالى أن العلماء أشد خشية لله من غيرهم
بفضل ما تحصلوا عليه من علم عرفوا به قدر الله ولذلك قال الامام
مالك رضى الله عنه :

« باب من العلم نتعلمه أحب الينا من ألف ركعة تطوعا » •

وذلك لأن من سلك طريق العلم فهو آمن باذن الله من تلبيس
ابليس !

فياغاديا فى غفلة ورائها الى متى تستحسن القبائحا ؟
وكم الى كم لاتخاف موقفا يستنطق الله به الجوارحا ؟
ياعجبا منك وأنت مبصر كيف تتكبت الطريق الواضحا ؟

وكتب رجل الى صالح بن عبد القدوس يسأله :

القبر باب وكل الناس داخله ياليت شعرى بعد الموت مالدار ؟
فأجابه قائلا :

الدار جنة عدن ان عملت بها يرضى الاله وان فرطت فالنار
هما محلان ما للناس غيرهما فانظر لنفسك ماذا أنت مختار ؟
وأخيرا أترككم مع هذا السؤال الموجه من قبل المولى عز وجل
وأسأل الله أن تكون الاجابة عليه بالفعل لباللسان • وهو :

« أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط
مستقيم » ؟

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

تمت بحمد الله تعالى

سمير شاهين
كفر المصليحة

مصادر البحث

أولا — القرآن الكريم :

ثانيا — كتب التفسير :

١ — تفسير الامام الطبري

٢ — تفسير الامام القرطبي

٣ — تفسير الامام ابن كثير

محمد بن جرير الطبري

للإمام شمس الدين أبي عبد الله
القرطبي

الإمام أبي الفدا عماد الدين
ابن كثير

ثالثا — كتب السنة :

١ — صحيح البخاري

٢ — صحيح مسلم

٣ — اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق
عليه الشيخان

٤ — المستدرک علی البخاری ومسلم للحاکم النیسابوری

٥ — سنن أبو داود

ابن داود سليمان بن الأشعث
ابن اسحاق السجستاني الأزدي

٦ — سنن الترمذي

لابن عيسى محمد بن عيسى بن
سورة

٧ — سنن بن ماجه

للإمام أبي عبد الله محمد بن
يزيد القزويني

- ٨ - سنن النسائي
للامام أحمد بن شعيب بن علي
ابن سنان
- ٩ - الموطأ للامام مالك
للامام مالك بن أنس بن مالك
- ١٠ - فتح الباري في شرح صحيح
البخاري
الامام ابن حجر العسقلاني
- ١١ - صحيح مسلم بشرح النووي
للامام محيي الدين ابن ذكريا
شرف

رابعاً - كتب الفقه :

- ١ - المغنى لابن قدامة
للامام بن قدامة المقدس
- ٢ - نيل الأوطار شرح صحيح
الأخبار
للامام محمد بن علي الشوكاني
- ٣ - المحلى لابن حزم
الامام ابن حزم الأندلسي
- ٤ - معارج القبول بشرح مسلم
الوصول
الامام حافظ بن أحمد حكيم
- ٥ - سبل السلام
للامام محمد بن اسماعيل
للمصنعاني
- ٦ - فيض القدين
للمناوي
- ٧ - الفتاوى الكبرى
للامام تقى الدين بن تيمية
الحراني
- ٨ - مجموعة الرسائل
للامام ابن تيمية
- ٩ - اقتضاء الصراط المستقيم
في مخالفة أصحاب الجحيم
للامام ابن تيمية
- ١٠ - الجواب الباهر في
زوار المقابر
للامام ابن تيمية

- ١١ — التوسل والوسيلة للإمام ابن تيمية
- ١٢ — اغاثة اللهفان من مصائد الإمام شمس الدين ابن القيم الجوزية • الشيطان
- ١٣ — الموافقات للإمام ابن اسحاق ابراهيم اللخمي الغرناطي الشاطبي
- ١٤ — الاعتصام للإمام الشاطبي
- ١٥ — سلسلة الاحاديث الضعيفة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني
- ١٦ — التذكرة في أحوال الموتى والآخرة عبد الله القرطبي
- ١٧ — الابداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ
- ١٨ — فتاوى الشيخ محمود شلتوت

خامسا :

كتب التاريخ الاسلامي

- ١ — التاريخ الكبير للإمام محمد بن اسماعيل البخاري
- ٢ — تاريخ الطبري للطبري
- ٣ — اسد الغابة في معرفة اسماء لابن الأثير الصحابة
- ٤ — الاصابة في معرفة أسماء لابن حجر الصحابة
- ٥ — الرياض المستطابه في معرفة ليحيى من أبي بكر الغامري من روى في الصحيحين من الصحابة
- ٦ — جمهور أنساب العرب لابن حزم
- ٧ — مروج الذهب للمسعودي

- | | |
|----------------------------|---------------------|
| ٨ — خلاصة الأثر | للمحبي |
| ٩ — معجم البلدان | لياقوت الحموي |
| ١٠ — الخلاصة | للخزرجي |
| ١١ — تاريخ الأمم الإسلامية | للخضري |
| ١٢ — حوليات الإسلام | لأحمد عظيمه |
| ١٣ — التاريخ الإسلامي | للدكتور علي إبراهيم |

سادسا :

كتب القبوليين

- | | |
|--------------------|---------------------|
| ١ — الجواهر السنية | عبد الصمد الأحمدى |
| ٢ — الطبقات الكبرى | عبد الوهاب الشعرانى |
| ٣ — جواهر المعاني | أحمد التيجانى |

تصويب الأخطاء

رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٥	١	الثالثة	الثلاثة
٢٥	٢	ويعتمد	وييتعمد
٢٧	١٣	رابعا	لاغى
٣٦	الهامش	السنيذ	السنية
٣٧	الهامش	الجوار السنيذ	الجواهر السنية
٣٩	١٧	لمن يمرغ	لمن لم يمرغ
٤٠	٧	الصغار	الصغائر
٤٠	١٢	حتى حتى أصبح	حتى أصبح
٤٩	٥	فأ أتخذتم	أفأتخذتم
٤٩	١٩	شركان	شركاء
٥٠	١	يذكرها	بذكرها
٥٠	٥	تقولوا	لا تقولوا
٥٠	٢١	قال	فقال
٥٥	٤	تذكره	تذكرة
٥٥	١٠	المثبته	المثبتة
٧٠	١	سطر كتب خطأ	ويحمل قول الامام مالك في ذلك عملا بحديث رسول الله ﷺ والذي قال فيه للزريعة
٧٠	٢٤	للزريعة	للزريعة
٧٦	٩	الا الله	الا الله
٧٧	٢	غفر	لا عقر
٧٧	٣	الصرط	الصراط
٧٨	١٠	وأن هذا المقام	وأن هذا المقام المقام لها
٧٩	١٣	وجهه	وجه

فهرس

الموضوع	صفحة
المقدمة للدكتور السيد رزق الطويل	٣
مقدمة الكتاب	٧
تحريم اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد	١١
كراهة رفع القبور عن الأرض	١٥
النهي عن ايقاد السرج على المقابر والكتابة عليها	٢٠
النهي عن الصلاة عند القبور	٢٣
النهي عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة	٢٥
الوثنية في ثوبها الجديد	٢٨
نور من الله	٤٨
هدى الرسول (ﷺ) في زيارته للمقابر	٥٢
خطبة الامام بن القيم في الفرق بين زيارة الموحدين وزيارة المشركين	٥٥
النهي عن زيارة المقابر ثم الأمر بزيارتها مرة أخرى	٦٣
النهي عن اتخاذ المقابر أعياد	٦٥
النذر للأضرحة	٧٣
الذبح للأضرحة	٧٥
أحجار فارغة وأصنام تعبد	٧٨
صور حية من حياة القبوريين	٧٢
شبل ابن من ؟؟	٨٢
خميس خرج ولم يعد	٨٥
هزيمة الصوالة بميت خاقان	٨٧
وشهد شاهد منهم	٨٨
أقوال علماء السلف في القبوريين	٩٠
خطبة الامام بن القيم في القبوريين	٩٠

الموضوع	صفحة
خطبة الشيخ حافظ بن أحمد حكيم	٩٢
فتوى الشيخ حسن مأمون مفتي الجمهورية سابقا	٩٥
فتوى الشيخ محمود شلتوت	٩٧
كلمة الشيخ على محفوظ	١٠٠
كلمة جريئة لعالم معاصر	١٠٤
قصيدة الدكتور أحمد عمر	١١٠
جريدة الحزب الوطنى تحرم الصلاة فى المساجد التى بها أضرحة	١١١
تعالوا الى كلمة سواء	١١٤
مصادر البحث	١١٩
تصويب الأخطاء	١٢٣
الفهرس	١٢٥

نظمته العضمان العربيت - القمالة
٩٣٤١١٧